جامعة الأزهر
كلية الدراسات الإسلامية والعربية
بنات الزقازيق

الشهداء وجزاؤهم في القرآن الكريم

دكتوره
ثناء علي مخيمر الشيخ
الأستاذ المساعد
بقسم التفسير وعلوم القرآن بالكلية

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى

وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون

صدق الله العظيم

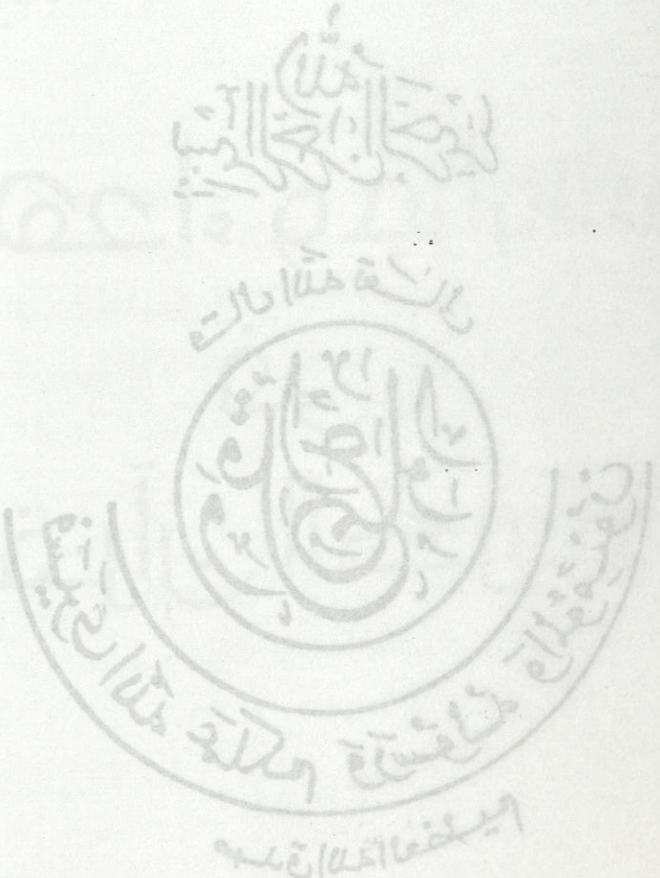

إن الأمه الإسلامية اليوم فى نضال مرير مع الكفر والباطل وما يتبعانهما من ضلال فى الفكر وفساد فى السلوك ومظاهر الحياة العامة وهى وإن كانت تفتقر فى حاضرها إلى دراسات إجتماعية مختلفة تكشف لها أسباب فشلها وتأخرها ووسائل تقدمها وتفوقها كما تكشف لها أوضاع عدوها وحقيقته ونشاطه وأسباب تقدمه ونجاحه فإنها إلى تجميع مادة الانطلاق والعمل وجهاد الخصم بكل وسيلة حتى القتال أكثر افتقارا.

والشهيد لدى الأمم وخاصة فى الأمة المسلمة هو هذه المادة بل هو مادة وجودها واستمرارها عزيزة كريمة.

ذلك: أن الشهيد فى الأمه يعبر عن مدى ما لديها من حيوية واستعداد للتضحية فى سبيل وجودها وكرامتها، بل على ما عندها من طاقات التجمع والمشاعر الوجدانية الفاعلة ووحدة الصف والرأى والهدف.

والأمة الإسلامية اليوم فى عراكها مع الاستعمار والصهيونية، تفتقر إلى تعميق هذه المعانى فى وجودها ولن يعبر عن تحقق ذلك فيها إلا الشهيد.

وكلما كثر الشهداء، كان ذلك تعبيراً واضحاً عن ازدياد هذا العمق من الإيمان، وبالتالى ازدياد متانة وجود هذه الأمة وقوتها وقدرتها فى مدافعة من يطمع فيها من ذئاب البشر وأعداء الإنسانية.

وينبغى أن يعلم المجاهدون من أمر الجهاد وهكذا ينبغى أن يوطدوا أنفسهم عليه وأن يرصدو له إلى اليوم الذى يدعوهم الله سبحانه وتعالى فيه إلى الجهاد.

قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ﴾[1] فالجهاد معناه القتال والقتل.

وعلى هذا فإن إيثار النظم القرآنى لكلمة «القتل» على كلمة الاستشهاد وهو تدبير حكيم عليم، لتربية المجاهد وإعداده ليوم المعركة إعداداً نفسياً ووجدانياً على الحياة فى المعركة قبل يوم المعركة وتوطين النفس على القتل والموت قبل يوم القتل والموت.

فإذا خرج المسلم المجاهد للقتال وهو على تلك النية وفى صحبة هذه المشاعر التى عاشها من قبل وكان له من ذلك ما يثبت قدمه فى ميدان القتال ويربط على قلبه ساعة الهول والفزع فلا يحجم عن الإقدام ولا يفر عند اشتداد البأس وحين تبلغ القلوب الحناجر، فلقد خاض المسلم هذه المعركة بمشاعره من قبل وذاق طعم الموت فى موقع الاستشهاد، فى انعقاد نيته عليه وإعداد نفسه له وهذا لا شك أعظم أثر وأحمد عاقبة فى إعداد المؤمن المجاهد ليوم القتال، مما لو صور له الموت فى صورة مجازيه كلفظ الشهيد «أو الاستشهاد» حيث يبدو فيها الموت على غير تلك الصورة التى يشهدها المجاهد منه ويلقاه عليها ساعة الجهاد.

ومن جهة أخرى: فإن هذا القتل فى سبيل الله قد ربطه القرآن الكريم بالصورة المقابله له وهو الحياة .. فجعل القتل للذين يقتلون فى سبيل الله حياة مجددة لهم فى صورة أكرم من تلك الصورة التى هم عليها فى هذه الدنيا حيث يلبسون فى هذا القتل صورة الحياة الكاملة وحيث يدعوهم الله تعالى إليه

(١) سورة التوبة آية ١١١.

وينزلهم منازل الإكرام والإحسان عنده فى جنات النعيم وفى هذا يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ . فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾[1].

وعن هذا المعنى جاء الوصف لمن يقتلون فى سبيل الله بأنهم الشهداء إذا كان قتلهم حياة لهم وهم بهذه الحياة فى مقام عال يشهدون فيه فضل ربهم عليهم ويطلعون فيه من العالم الأخروى على ما لم يطلع عليه غيرهم، ومن أجل هذا لفت الله تعالى المؤمنين إلى أن ينظروا إلى هؤلاء القتلى على أنهم أحياء وليسوا من عالم الموتى وفى هذا يقول تبارك اسمه عز وجل: ﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِن لَّا تَشْعُرُونَ ﴾[2].

وفى هذا عزاء للأحياء الذين قتل أحبابهم وإخوانهم فى ميدان الجهاد إنهم أحياء غير أموات، فلا تبك عليهم عين، ولا يحزن من أجلهم قلب.

وكيف تدمع العيون وتحزن القلوب على من كان فى أفراح دائمة ومسرات لا تنقطع ؟ وأين يذهب عن المؤمن قول الله تعالى: ﴿ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾[3].

إنهم يهتفون من عليائهم إلى إخوانهم الذين لم يلحقوا بهم أن هلم إلينا إلى رضوان الله ورحمته وإلى النعيم السرمدى الدائم فى جناته.

(١) سورة آل عمران آية ١٦٩، ١٧٠.
(٢) سورة البقرة آية ١٥٤.
(٣) سورة آل عمران آية ١٧٠.

إن الصورة التى رسمها الإسلام للشهيد والمنزلة العالية التى رفعه إليها والمقام الكريم الذى أحله الله فيها فى دار البقاء لما يتنافس فيه المؤمنون ويعمل له العاملون وحسب المسلم أن يستمع إلى قول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ . سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ . وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ﴾(١).

وحسب المسلم أن يعلم أن رسول الله ﷺ وهو من هو عند ربه فى مقام الإكرام والإحسان حسبه أن يعلم أن رسول الله يتمنى الموت فى سبيل الله لا مرة واحدة بل مرة ومرة ومرة فيقول صلوات الله وسلامه عليه.

عن أبى هريرة أن النبى ﷺ قال: «والذى نفس محمد بيده لوددت أنى أغزو فى سبيل الله فأقتل ثم أغزو فاقتل ثم أغزو فأقتل»(٢).

حسب المسلم أن يعلم هذا فيتأكد له أنه لا مطلب أعز ولا أكرم ولا أشرف من الموت فى سبيل الله.

عن أنس قال رسول الله ﷺ «ما من نفس تموت لها عند الله خير يسرها أن ترجع إلى الدنيا وأن لها الدنيا وما فيها إلا الشهيد فإنه يتمنى أن يرجع فيقتل مرة أخرى»(٣).

---

(١) سورة محمد آية ٤، ٦.

(٢) أخرجه الإمام أحمد فى مسنده ١/ ٣٨٤ عن أبى هريرة رضى الله عنه، ط دار صادر بيروت، لبنان.

(٣) أخرجه الإمام مسلم فى صحيحة كتاب الإمارة باب فضل الشهيد فى سبيل الله تعالى ٣/ ٢١٤٩٨ رقم ١٨٧٧ عن أنس رضى الله تعالى عن، ط عيسى الحلبى، بيروت، لبنان تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى

وأن المسلم يستمع إلى هذا من الصادق الأمين الذى لا ينطق عن الهوى فتهون عليه نفسه وأهله وما له وولده فى سبيل أن يلقى الله فى زمرة الشهداء مصبوغاً بالدم الذى أريق منه على جسده والذى يطلع به على أهل الموقف يوم القيامة شهادة ناطقه بأنه من المجاهدين فى سبيل الله يقول الرسول الكريم «وما من مكلوم يكلم فى سبيل الله إلا جاء يوم القيامه وكلمه يدمى اللون لون دم والريح ريح مسك»(١).

فلم إذن يحزن أحباؤنا أو يحزنون على من مات من أحبائنا وأعزائنا فى سبيل الله. إنهم هناك فى عرس دائم وفى أفراح ومسرات لا تنقطع.

هذا: ولم تكن تلك المنزلة العاليه التى رفع اليها الإسلام قدر الشهيد وأعلى بها مقامه لم تكن من معطيات هذا الدين وحده وإنما هى مما جعل الله لكل من يقاتلون فى سبيله ويقدمون أنفسهم قربانا لله وانتصار لدينه ودفاعاً عن حرماته.

وفى هذا يقول الله تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ . وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلاَّ أَن قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ . فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾(٢).

---

(١) سورة آل عمران آية ١٤٦: ١٤٨.

(٢) أخرجه البخارى فى صحيحه كتاب الذبائح والصيد باب المسك ٣/ ٤٥٤ حديث رقم ٥٥٣٣ عن أبى هريرة رضى الله عنه، ط الإيمان، المنصورة.

ولذلك الشهادة تنسى الهموم. وبالفوز والشهادة يهون كل شئ.

والفرحة بها تبدد الأحزان وتذهب لوعة الفراق فهذه أم حارثة تأتى رسول الله ﷺ مستفسرة عن ولدها الشهيد وقد أصابه ضربة سهم فى غزوة بدر فتقول يا رسول الله ألا تحدثنى عن حارثة إذ كان فى الجنة صبرت وإن كان غير ذلك اجتهدت عليه فى البكاء.

فقال رسول الله ﷺ «يا أم حارثة إنها جنان فى الجنة وأن ابنك أصاب الفردوس الأعلى»[1].

وهذه الخنساء ترسل بنيها الأربعة إلى موقعة القادسية وتخطبهم قائلة: «يا بنى والله ما غيرت نسبكم ولا هجنت حسبكم وغداً الموقعة فإذا رأيتم الحرب قامت على ساقها وجللت منارا على أرواقها فخوضوا وطيسها وجالدوا رئيسها فإما أن تفوزوا بالشهادة أو ترجعوا بالكرامة».

وذهب الأبناء وفى صدرهم يقين واستشهدوا جميعاً ورفع الخبر إلى الخنساء فقالت: «الحمد لله الذى شرفنى بقتلهم جميعاً وأسأله أن يجمعنى بهم فى مستقر رحمته».

وإطلاق هذا التعبير الدينى لأول مرة فى تاريخ الإسلام كان أغلبها فى قتلى بدر وأحد.

وأن الغزوات التى سبقت هاتين الغزوتين خلت من وقوع قتلى من المسلمين فيها رجح لدينا الاتجاه إلى تقدير أن أول ما أطلقت لفظة الشهيد على

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه كتاب الجهاد باب من أتاه سهم ٢/٢١٤ حديث رقم ٢٨٠٩.

القتيل المسلم فى المعركة الدائرة بين المسلمين والكافرين دفاعاً عن الإسلام وإعلاء كلمة الله كانت ابتداء من معركة بدر الكبرى.

ويؤكد هذا: أن كتب السيرة روت لأول مرة أن رسول الله ﷺ وقف فى الناس يوم بدر وحرضهم قائلاً: «والذى نفسى محمد بيده لا يقاتلهم اليوم رجل، فيقتل صابرا محتسبا مقبلا غير مدبرا إلا أدخله الله الجنة» فقال عمر بن الحمام وفى يده تمرات يأكلهن: «بخ بخ أفما بينى وبين أن أدخل الجنة إلا أن يقتلنى هؤلاء، ثم قذف التمرات من يده وأخذ سيفه، فقاتل القوم حتى قتل على يد خالد بن الأعلم»[1].

وذكر ابن اسحاق أن حادثة بن سراقة كان أول من استشهد فى بدر من المسلمين، رماه حبان بن العرقه بسهم فأصاب حنجرته فقتل فجاءت أمه وهى الربيع بنت النضر عمة أنس فقالت: «يا رسول الله قدعلمت موضع حارثه منى فإن يكن فى الجنة أصبرو أحتسب وإن يكن غير ذلك فسترى ما أصنع فقال: «أو جنة واحدة هى؟ إنما هى جنات، وإن ابنك منها لفى الفردوس».

ولذلك أن الراجح فى إطلاق لفظة الشهيد بمعناها الدينى كان فى معركة بدر، إلا أنه مما لا شك فيه: أن ثمة شهداء قد سبقوا هذه المعركة فما توا صبرا واحتسابا نتيجة العذاب الأليم الذى كان يصبه عليهم كفار قومهم فى مكة وغيرها مثل سمية والدة عمار رضى الله عنهما فقد ماتت محتسبة صابرة على تعذيب بنى مخزوم لها ولزوجها ياسر ولولدها عمار. وقد ماتت فى مكة قبل الهجرة وذلك بطعنة من أبى جهل فى قلبها عليه لعنة الله[2].

(١) كتاب السهيلى على ابن هشام جـ٢ ص ١٠١.

(٢) السهيلى على بن هشام جـ٢ ص ١٠١.

فالشهادة فى الإسلام لها مزية ما لا يوازيه مزية وكل ما ناله الإسلام فى عهد مجده وعزته كل ذلك بفضل الشهداء الذين أراقوا دماءهم ابتغاد لوجه الله الكريم وإعلاء لكلمة الله العظيم فالشهادة حياة باقية على صفحات الدهر لا يطمسها مرور الأزمان ولها آثار خالدة لبقاء المجتمع الإنسانى فى هذا العالم ونصوص الكتاب العزيز وأقوال سيدنا رسول الله ﷺ فى فضلها وفضل الشهداء، وما يدهش العقول وما لا يدع مجال للارتياب.

قال عز وجل ﴿ **إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ** ﴾(١).

لذلك كان سبب اختيارى لهذا الموضوع بيع النفس لله ونعم البيع فالله يشترى أنفسنا وهو خالقها وأموالا هو مالكها ورازقها ثم اشترى وأغلى لهم الثمن وأخبر أنه وعد ثابت قديما فى الكتب الإلهية السماوية كالتوراة والانجيل مثل الوعد فى القرآن المجيد ثم أكده بأنه سبحانه لا يخلف ميعاده.

وهذه دراسة موضوعية عن الشهداء وجزاؤهم فى القرآن الكريم تحدثت عنها من خلال مقدمة البحث وعدة مباحث مختلفة ثم الخاتمة وهى كالآتى:-

المبحث الأول: تعريف الشهيد لغة واصطلاحاً.

والعلاقة بين المعنى اللغوى والمعنى الاصطلاحى.

المبحث الثانى: أقسام الشهيد.

(١) سورة التوبة آية ١١١.

المبحث الثالث: حكم الشهيد ومكانة الشهيد وفضله ومراتب الشهداء. وشهداء عصر النبى ﷺ.

المبحث الرابع: الشهيد فى الديانات السماوية.

أولاً: فى الديانة اليهودية من خلال آيات القرآن الكريم.

ثانياً: الشهادة فى الديانة المسيحية.

الشهيد فى أقوال كبار المسيحيين.

المبحث الخامس: مراحل الإستشهاد والإذن بالتقال.

★ أشرف العبادات فى الإسلام.

★ الهدف من القتال.

★ الجيش الإسلامى.

★ نهى الإسلام عن التخريب.

★ مراعاة الفضيلة أثناء الحرب.

المبحث السادس: شروط المقاتل والشهيد.

١- أن يقتل صابرا محتسبا مقبلا غير مدين.

٢- الإعداد لحرب الأعداء.

٣- الشجاعة.

٤- الجهاد بالأموال والنفوس.

المبحث السابع: مراحل الإستشهاد فى سبيل الله.

أثر الشهداء فى أمتهم.

المبحث الأول

تعريف الشهيد لغة واصطلاحاً

★ تعريف الشهيد: لغة:

شهد: من أسماء الله عز وجل: الشهيد. قال أبو إسحق: الشهيد من أسماء الله الأمين فى شهادته. قال: وقيل الشهيد الذى لا يغيب عن علمه شئ.

والشهيد: الحاضر. وفعيل من أبنيته المبالغة فى فاعل فإذا اعتبر العلم مطلق. فهو العليم. وإذا أضيف إلى الأمور الباطنة فهو الخبير. وإذا أضيف إلى الأمور الظاهرة. فهو الشهيد.

وقد يعتبر مع هذا أن يشهد على الخلق يوم القيامة ..

الشاهد: العالم الذى يبين ما علمه. شهد شهادة. ومنه قوله تعالى: ﴿شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ﴾[1].

أى الشهادة بينكم شهادة إثنين فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه.

قال الفراء: إن شئت رفعت اثنين بحين الوصية أى ليشهد منكم اثنان ذوا عدل أو آخران من غير دينكم من اليهود والنصارى. هذا للسفر والضرورة. إذ لا تجوز شهادة كافر على مسلم إلا فى هذا.

ورجل شاهد. وكذلك الأنثى لا أعرف ذلك إنما هو فى المذكر. والجمع أشهاد وشهود. وشهيد والجمع شهداء ...

والشهادة: خبر قاطع تقول منه: شهد الرجل على كذا.

(١) سورة المائدة آية ١٠٦.

وقولهم: إشهد بكذا أى احلف.

والتشهد فى الصلاة: معروف .. قراءة التحيات لله وإشتقاقه من «أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله» ...

والمشاهدة: المعاينة. وشهده شهوداً أى حضره. فهو شاهد وقوم شهود أى حضور. وهو فى الأصل مصدر ... وجمع الشهد شهود وأشهاد. والشهيد: الشاهد والجمع الشهداء ...

والشهيد: المقتول فى سبيل الله. والجمع شهداء.

وفى الحديث: أرواح الشهداء فى حواصل طير خضر تعلق من ورق الجنة»[1].

والإسم الشهادة. وإستشهد: قتل شهيدا. وتشهد: طلب الشهادة. والشهيد: الحى. عن النضر بن شميل فى تفسير الشهيد الذى يستشهد: الحى أى هو عند ربه حى.

ذكره أبو داود أنه سأل النضر عن الشهيد فلان شهيد يقال: فلان حى أى هو عند ربه حى. قال أبو منصور: أراه تأول قول الله عز وجل: ﴿**ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم**﴾.

كأن أرواحهم أحضرت دار السلام أحياء. وأرواح غيرهم أخرت إلى البعث»[2].

(١) أخرجه مسلم فى صحيحه كتاب الإمارة باب بيان أرواح الشهداء فى الجنة وأنهم أحياء عند ربهم يرزقون ٣/١٥٠٢ - ١٥٠٣ رقم ١٨٨٧.

(٢) أخرجه أبو داود فى سننه كتاب الجهاد باب فضل الشهادة ٣/١٤ - ١٥ حديث رقم ٢٥٢٠ ط دار الحديث القاهرة.

... وقيل سمى الشهيد شهيداً لأن الله وملائكته شهود له بالجنة وقيل: سموا شهداء لأنهم ممن يستشهد يوم القيامة مع النبى ﷺ على الأمم الخالية. قال عز وجل: ﴿ لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾[1].

... والشهادة تكون للأفضل فالأفضل من الأمة. فأفضلهم من قتل فى سبيل الله. ميزوا عن الخلق بالفضل وبين الله أيهم أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما أتاهم الله من فضله. ثم يتلوهم فى الفضل من عدّه النبى ﷺ شهيداً فإنه قال: المبطون شهيد والمطعون شهيد. قال: ومنهم أن تموت المرأة بجمع. ودل خبر عمر بن الخطاب- رضى الله عنه - : أن من أنكر منكرا. وأقام حقا . ولم يخف فى الله لومة لائم أنه فى جملة الشهداء. لقوله - رضى الله عنه - : ما لكم إذا رأيتم الرجل يخرق أعراض الناس أن لا تعزموا عليه ؟ قالوا : نخاف لسانه . فقال: ذلك أحرى أن لا تكونوا شهداء[2].

قال الأزهرى : معناه. والله أعلم. أنكم إذا لم تعزموا وتقبحوا على من يقرض أعراض المسلمين مخافة لسانه. لم تكونوا فى جملة الشهداء الذين يستشهدون يوم القيامة على الأمم التى كذبت أنبياءهم فى الدنيا.

وقال الكسائى: أشهد الرجل إذا استشهد فى سبيل الله فهو مشهد بفتح الهاء ... قال الشهيد فى الأصل من قتل مجاهداً فى سبيل الله ثم إتسع فيه

---

(١) سورة البقرة آية ١٤٣.

(٢) أخرجه مسلم فى صحيحه كتاب الإمارة باب بيان الشهيد ٣/١٥٢١ وأخرجه البخارى فى صحيحه كتاب الجهاد باب الشهادة سبع سوى القتل ٢/٨١٩ ح ٢٨٢٨ عن أبى هريرة رضى الله عنه.

فاطلق على من سماه النبى ﷺ . من المبطون والغرق والحرق وصاحب الهدم وذات الجنب وغيرهم.

وسمى شهيداً لأن ملائكه شهود له بالجنة. وقيل: لأنه حى لم يمت كأنه شاهد أى حاضر. وقيل: لأن ملائكته الرحمة تشهده. وقيل: لقيامه بشهادة الحق فى أمر الله حتى قتل.

وقيل: لأنه يشهد ما أعد الله له من الكرامة بالقتل. وقيل غير ذلك فهو فعيل بمعنى فاعل وبمعنى مفعول على إختلاف التأويل[1].

وجاء فى مفردات ألفاظ القرآن للراغب : .. الشهادة قول صادر عن علم حصل بمشاهدة بصيرة أو بصر ...

والشهيد هو المحتضر فتسميته بذلك لحضور الملائكة إياه ..[2].

---

(١) لسان العرب لابن منظور جـ٣/٤٨٥ - ٤٨٦.

(٢) المفردات للراغب ص ٢٧٥ - ٢٧٦.

★ معنى الشهيد إصطلاحاً:

الشهيد فى إصطلاح الفقهاء: «من مات من المسلمين فى قتال الكفار وبسببه»[1].

وقيل: هل من قتل فى سبيل الله صابراً محتسباً مقبلاً غير مدبر.

وعلل ذلك:

قد نقل – ابن حجر – فى كتاب الجهاد من كتابه «فتح البارى» أسباباً مختلفة فى تعليل هذه التسمية منها:

– لأن الشهيد حى فكأنما روحه شاهده أى حاضرة.

– لأن الله يشهده عند خروج روحه ما أعدله من الكرامة بالقتل.

– لأن الله وملائكته يشهدون له بالجنة.

– لأن يشهد له بالأمان من النار.

– لأن الملائكة تشهد له بحسن الخاتمة.

– لأن الأنبياء يشهدون له بحسن الإتباع.

– لأن الله يشهد له بحسن نيته.

– لأنه يشاهد الملائكة عند إحتضاره.

قول آخر: للإمام الفخر الرازى فى معنى الشهيد إصطلاحاً:

حيث قال: لا يجوز أن تكون الشهادة مفسرة بكون الإنسان مقتول الكافر. ودلل على ذلك من وجوه:–

(١) مغنى المحتاج ١/ ٢٣٥٠، وابن عابدين ١/ ٦٠٧-٦٠٧.

الأول: أن هذه الآية دالة على أن مرتبة الشهادة مرتبة عظيمة فى الدين. وكون الإنسان مقتول الكافر ليس فيه زيادة شرف لأن هذا القتل قد يحصل فى الفساق ومن لا منزلة له عند الله.

الثانى: أن المؤمنين قد يقولون: اللهم ارزقنا الشهادة. فلو كانت الشهادة عبارة عن قتل الكافر إياه لكانوا (قد طلبوا من الله ذلك القتل وأنه غير جائز. لأن طلب صدور ذلك القتل من الكافر كفر فكيف يجوز أن يطلب من الله ما هو كفر).

الثالث: روى أنه ﷺ قال: المبطون شهيد. والغريق شهيد. فعلمنا أن الشهادة ليست عبارة عن القتل.

وقال: الشهيد فعيل بمعنى الفاعل. وهو الذى يشهد بصحة دين الله تعالى تارة بالحجة والبيان. وأخرى بالسيف والسنان.

فالشهداء القائمون بالقسط. وهم الذين ذكرهم الله فى قوله تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُوْلُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ﴾[1].

ويقال للمقتول فى سبيل الله شهيد من حيث أنه بذل نفسه فى نصرة دين الله. وشهادته له بأنه هو الحق وما سواه هو الباطل ..[2].

★ مصدر تحديد معنى الشهيد إصطلاحاً:

لقد كان مصدر تحديد معنى الشهيد فى الاصطلاح الشرعى هو الأحاديث الكثيرة المروية عن رسول الله ﷺ.

(١) سورة آل عمران آية: ١٨.

(٢) تفسير الفخر الرازى جـ١٠ ص ١٧٤.

فجاء فى صحيح مسلم عن أبى موسى الأشعرى – رضى الله عنه – أن رجلاً أعرابياً أتى النبى ﷺ فقال : «يا رسول الله : الرجل يقاتل للمغنم. والرجل يقاتل ليذكر. والرجل يقاتل ليرى مكانه. فمن فى سبيل الله ؟ فقال رسول الله ﷺ : من قاتل لتكون كلمة الله أعلى فهو فى سبيل الله»[1].

وعن سليمان بن يسار – رضى الله عنه – فقال: «تفرق الناس عن أبى هريرة فقال له: قاتل أهل الشام (هكذا) وفى رواية قال أهل الشام: «أيها الشيخ حدثنى حديثاً سمعته من رسول الله ﷺ قال نعم: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن أول الناس يقضى يوم القيامة عليه. رجل إستشهد . فأتى به. فعرفه نعمه. فعرفها. قال: فما عملت فيها قال: قاتلت فيك حتى إستشهدت قال: كذبت. ولكنك قاتلت لأن يقال جرئ. فقد قيل. ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقى فى النار .....»[2] ثم أكمل الحديث

وروى عن قتادة – رضى الله عنه – عن رسول الله ﷺ : «أنه قام فيهم فذكر لهم : أن الجهاد فى سبيل الله والإيمان بالله أفضل الأعمال. فقام رجل. فقال: يا رسول الله: أرأيت إن قتلت فى سبيل الله. تكفر عنى خطاياى ؟ فقال له رسول الله ﷺ : نعم إن قتلت وأنت صابر محتسب مقبل غير مدبر. ثم قال

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه كتاب الجهاد باب من قاتل لتكون حكمة الله هى العليا ٢/٢١٤ – ٢١٥م ٢٨١٠ عن أبى موسى. وأخرجه مسلم فى صحيحه كتاب الإمارة باب من قاتل لتكون حكمة الله هى العليا فهو فى سبيل الله ٣/١٥١٢ – ١٥١٣م ١٩٠٤.

(٢) أخرجه الإمام مسلم فى صحيحه كتاب الإمارة باب من قاتل للرياء والسمعة إستحق النار ٣/١٥١٣ – ١٥١٤م ١٩٠٥، والترمذى ٤/٥٩٣.

رسول الله ﷺ : «وكيف قلت» ؟ قال أرأيت إن قتلت فى سبيل الله اتكفر عنى خطاياى ؟ فقال رسول الله ﷺ : «نعم وأنت صابر محتسب مقبل غير مدبر....»[1].

★ تعريفات أخرى للشهيد:

الأحاديث السابقة توضح أن الشهيد هو من قاتل فى سبيل الله لتكون كلمة الله هى العليا – صابراً محتسباً مقبلاً غير مدبر. ولكن هناك أحاديث عن رسول الله ﷺ تعرف الشهيد بتعريفات أخر. مثل:-

روى عن الإمام أحمد وابن حبان عن سعيد بن زيد قال رسول الله ﷺ : «ما تعدون الشهيد فيكم ؟ فقالوا من قتل فى سبيل الله . فقال رسول الله ﷺ : إن شهداء أمتى لقليل: من قتل دون ماله فهو شهيد. ومن قتل دون دمه فهو شهيد ومن قتل دون دينه فهو شهيد. ومن قتل دون أهل فهو شهيد»[2].

وروى البخارى عن أبى هريرة – رضى الله عنه – أن رسول الله ﷺ قال: «الشهداء خمسة: المطعون. والمبطون. والغرق. وصاحب الهدم. والشهيد فى سبيل الله»[3].

(١) أخرجه الإمام مسلم فى صحيحه كتاب الإمارة باب من قتل فى سبيل الله كفرت خطاياه إلا الدين ٣/١٥٠١ رقم ١٨٨٥.

(٢) أخرجه أحمد فى مسنده ١/١٩٠ عن سعيد بن زيد رضى الله عنه ط بيروت لبنان.

(٣) أخرجه البخارى فى صحيحه كتاب الجهاد باب الشهادة سبع سوى القتل ٢/٢١٩ رقم ٢٨٢٩ ومسلم فى صحيحه كتاب الإمارة باب بيان الشهداء ٣/١٥٢١ رقم ١٩١٤.

ونقل ابن حجر روايات أخرى تنوع وصف الشهيد. وتضيف إلى التعريفات السابقة: صاحب ذات الجنب. والمرأة تموت وهى نفساء أو التى تموت وولدها فى بطنها.

وروى النسائى من حديث ابن زيد مرفوعاً: «من قتل دون مظلمته فهو شهيد»[1].

وكذلك حديث «من وقصه فرسه أو بعيره فهو شهيد»، «ومن لدغته هامة فهو شهيد»[2].

ومن حديث ابن عمر: «موت الغريب شهادة»[3].

ولابن حبان من حديث أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: «من مات مرابطاً مات شهيداً ووقى فتان القبر وعذى وريح ورزقه من الجنة وجزى عليه عمله»[4].

وقد قال ابن حجر: إنه قد إجتمع له من الطرق الجيدة أكثر من عشرين خصلة. إذا مات الإنسان متصفاً بإحداها كان شهيدا. ونقل ابن التين: أن هذه

---

(١) أخرجه النسائى فى سننه كتاب تحريم الدم باب من قتل دون ماله فهو شهيد ١١٥/٧ عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما ط الريان.

(٢) أخرجه أبو داود فى سننه كتاب الجهاد باب فيمن مات غريباً ١١٥/١ ط دار الحديث.

(٣) أخرجه ابن ماجه فى سننه كتاب الجنائز باب فيمن مات غريباً ١١٥/١ ط عيسى الحلبى.

(٤) أخرجه عبد الرزاق فى المصنف كتاب الجهاد باب الرباط ٢٨٣/٥ حديث رقم ٩٦٢٢.

كلها ميتات فيها شدة. تفضل الله على أمة محمد ﷺ بأن جعلها تمحيصا لذنوبهم. وزيادة فى أجورهم. يبلغهم بها مراتب الشهداء[1].

★ العلاقة بين المعنى اللغوى والمعنى الإصطلاحى للشهيد:

نجد أن معنى الشهيد فى اللغة هو الحضور أو العلم أو المشاهدة. لا يزال كامنا فى مفهوم لفظ الشهيد فى الإصطلاح الدينى. فيما سبق.

ويتلاقى الإستعمالان: اللغوى الإصطلاحى: فى أن كلا منهما يتضمن فى ثناياه معنى الحضور أو المشاهدة أو بالعلم. غير أنه بعد أن كان هذا المعنى فى الإستعمال اللغوى مطلقاً صار فى الأصطلاح مختصاً غالباً. فيمن يحضر المعركة ضد الكفر إعلاء لكلمة الله تعالى وجعلها هى العليا. وجهاداً فى سبيل الله مؤكداً صدق إيمانه. وصدق ما آمن به.

هذا فى رأى من قال: إن الشهيد فعيل بمعنى فاعل. وهو الذى يشهد بصحة دين الله تارة بالحجة والبيان. وأخرى بالسيف والسنان. ويمكن تعليل هذا التلاقى أيضاً بين الاستعمالين فى بقية التعليلات المنقولة فى سبب إطلاق لفظة الشهيد على من قتل فى المعركة فى سبيل الله.

---

(١) عن كتاب الجهاد من فتح البارى ٤٠٩/٧ دار أبى حيان.

المبحث الثانى
أقسـام الشـهيد

قسم الفقهاء الشهداء إلى ثلاثة أقسام:

الأول: شهيد الدنيا والآخرة. والثانى شهيد الدنيا. والثالث شهيد الآخرة[١].

فشهيد الدنيا والآخرة هو الذى يقتل فى قتال مع الكفار. مقبلاً غير مدبر. لتكون كلمة الله هى العليا. وكلمة الذين كفروا هى السفلى. دون غرض من أغراض الدنيا[٢].

ففى الحديث عن أبى موسى - رضى الله عنه -

قال: (إن رجلاً أتى النبى ﷺ فقال مستفهما: الرجل يقاتل للمغنم. والرجل يقاتل للذكر. والرجل يقاتل ليرى مكانه. فمن فى سبيل الله ؟ قال عليه الصلاة والسلام: من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا. فهو فى سبيل الله)[٣].

أما شهيد الدنيا فهو من قتل فى قتال مع الكفار وقد غلّ فى الغنيمة. أو قاتل رياء. أو لغرض من أغراض الدنيا.

---

(١) مغنى المحتاج ١/ ٣٥٠. المكتبة الإسلامية، حاشية رد المحتار ٢/ ٢٥٢ ط ٢. حاشية الدسوقى على الشرح الكبير ١/ ٤٢٥ طبع دار إحياء الكتب العربية. المغنى لابن مقدامه ٢/ ٣٩٣ - ٣٩٩ مكتبة القاهرة.

(٢) مغنى المحتاج ١/ ٣٥٠.

(٣) أخرجه البخارى فى صحيحه كتاب العلم باب عن سأل وهو قائم عالماً جالساً ١/ ٧٧ح رقم ١٢٣.

وأما شهيد الآخرة: فهو المقتلو ظلما من غير قتال. وكالميت بداء البطن. أو بالطاعون. أو بالغرق. وكالميت فى الغربة. وكطالب العلم إذا مات فى طلبه. والنفساء التى تموت فى طلقها. ونحو ذلك.

وإستثنى من الغريب العاص بغربته. ومن الغريق العاصى بركوبه البحر كأن الغالب فيه عدم السلامة. أو ركوبه لإتيان معصية من المعاصى. ومن الطلق الحامل بزنى[١].

فعن أبى هريرة - رضى الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: «الشهداء خمسة: المطعون. والمبطون. والغرق. وصاحب الهدم والشهيد فى سبيل الله»[٢].

وعن أنس بن مالك - رضى الله عنه - عن النبى ﷺ قال: «الطاعون شهادة لكل مسلم»[٣].

وفى حديث أن رسول الله ﷺ قال: «من قتل دون ماله فهو شهيد»[٤].

★ شـهيد المعركة هـو المقصود:

فيما سبق نجد أن هناك من الخصال غير متفق على حصرها. يصبح كل من إتصف بها أو بإحداها شهيدا. وبذلك تتدنى مرتبة الشهيد. وتسقط من مكانتها الرفيعة. ويصعب التفريق بين الشهيد الذى مات فى المعركة إعلاءاً

---

(١) مغنى المحتاج ١/ ٣٥٠.

(٢) حديث: «الشهداء خمسة: المبطون ....» أخرجه البخارى (الفتح ٦/ ١٤٤ ط: السلفية، مسلم ٣/ ١٥٢١ ط. الحلبى).

(٣) أخرجه البخارى (الفتح ١٠/ ١٨٠ ط السلفية) ومسلم (٣/ ١٥٢٢ - ط الحلبى).

(٤) أخرجه البخارى (الفتح ٥/ ١٢٣ ط السلفية) ومسلم (١/ ١١٢٥ - ط الحلبى).

لكلمة الله وبين سائر الأموات. وهذا لا يقبل. ويؤكد هذا أن ابن حجر أورد من حديث ابن أبى طالب قال: «كل موته يموت بها المسلم فهو شهيد»[1].

وعلق ابن حجر على ما سبق بقوله: «والذى يظهر أن المذكورين ليسوا فى المرتبة سواء.

ويدل عليه ما روى عن أحمد وابن حيان فى صحيحه من حديث جابر والدارمى وأحمد والطحاوى من حديث عبد الله ابن حبش وابن ماجه من حديث عمرو بن عتبة أن النبى ﷺ سئل عن أى الجهاد أفضل ؟ قال: «من عقر جواده وأهريق دمه».

هكذا ننتهى إلى القول بأن الشهادة وإن ثبتت نصا لكل من مات بإحدى الخصال المذكورة سابقاً أو التى لم نذكرها وأوردتها الكتب الستة غير أنها تتفاضل ...

وأعلاها وأجدرها بالتعظيم. بل والتى أثنى الله سبحانه وتعالى على أصحابها وأخبر عنهم بأنهم أحياء. هى الشهادة التى يفوز بها من قتل فى المعركة مع الكافرين. لتكون كلمة الله هى العليا. قال تعالى: ﴿**وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ . فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ**﴾[2].

(١) فتح البارى كتاب الجهاد باب الشهادة سبعة سوى القتل ٧/ ٤١٠ ط دار أبى حيان.

(٢) سورة آل عمران ١٦٩ - ١٧٠.

فجعل القتل للذين يقتلون فى سبيل الله حياة مجددة لهم. فى صورة أكرم من تلك الصورة التى هم عليها فى هذا الدنيا. وهم شهداء المعركة. ينزلهم الله سبحانه وتعالى منازل الإكرام والاحسان عنده فى جنات النعيم.

وعن هذا المعنى أيضاً جاء الوصف لمن يقتلون فى سبيل الله بأنهم شهداء. إذا كان قتلهم حياة لهم. وهم بهذه الحياة فى مقام عالى يشهدون فيه فضل ربهم عليهم. ويطلعون فيه من العالم الأخروى على ما لم يطلع عليه غيرهم. ومن أجل هذا لفت الله تعالى المؤمنين إلى أن ينظروا إلى هؤلاء القتلى. على أنهم أحياء وليسوا من عالم الموتى. قال تعالى: ﴿**وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِن لَّا تَشْعُرُونَ**﴾[1].

وقد انتهى المحدثون إلى القول بهذا فذكروا أن الشهادة قسمان: شهيد الدنيا أو شهيد الدنيا والآخرة: وهو من يقتل فى حرب مع الكفار.

وشهيد الآخرة: وهو من ذكر من المبطون والمطعون والغريق وصاحب الهدم. وغيرهم فإنهم يعطون من جنس أجر الشهداء ولكن لا تجرى عليهم أحكامهم فى الدنيا. كالاستغناء عن تغسيلهم والصلاة عليهم.

ولكن حاشا لله تعالى أن يجعل فضل الذين يبذلون أرواحهم إعلاء بكلمته. وتدعيماً لدينه. على من مات مبطوناً أو محروقاً أو غريقاً وسواهم. هو بأن لا يغسلوا ولا يكفنوا ولا يصلى عليهم فقط بل إن الأمر بدفن الشهيد بثيابه دونما تغسيل أو صلاة على رأى. هو لبيان كرامته عند الله وليبقى دمه الزكى شهيدا على صدق إيمانه وإخلاصه لله - سبحانه وتعالى - وكل ذلك لا يكون إلا لما إتصفوا به من براءة - وفازوا به من فضل على جميع الأموات.

(١) سورة البقرة آية ١٥٤.

ومما تقدم يرجح أن شهادة شهيد المعركة تمتاز على شهادة الحرق والغريق وغير ذلك. كما أن حياة الشهيد عند ربه تمتاز على حياة الأموات الصالحين عند الله.

وشهيد المعركة أيضاً. هو الذى يعنيه القرآن الكريم. وأغلب الأحاديث الشريفة التى تعرضت لهذا الموضوع. وهو الذى يتطلب أن تفرد له هذه الدراسة الموجوذة. لأنه وحده الذى يستحق أن يفوز بذلك الفضل العظيم. والمصير المرموق الذى يواكب فيه مسيرة النبيين والصديقين والصالحين. والذى يمكنه بعد الإستشهاد أن يتمنى العودة إلى الدنيا ليموت فى محاربة الكافرين ثانية وثالثة ورابعة.

ولا ريب فى هذا مطلقا. لأن من يقتحم المعركة مع الكافرين. ويطلب الموت باذلاً روحه تأكيداً لصدق إيمانه بالله وتعزيزا لكلماته – سبحانه وتعالى وإستجابة لأمره. ليس كمن يأتيه الموت وهو كاراه. وإن كان صبر هذا الأخير وتحمله الألم. يوفر له الأجر الجزيل من الله والثواب الطيب.

والإفهل يعقل عالم ومفكر أن يكون من يقول فى مرضه أربعين مرة لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين[1] . ومن لم يترك الوتر سفراً ولا حضراً. ومن قال فى كل يوم خمساً وعشرين مرة: اللهم بارك لى فى الموت وما بعد الموت ثم مات على فراشه والذى يصيبه الغثيان أو يموت بدوار البحر أو يصيبه القئ. هل يعقل أن يكون أى واحد من هولاء بمنزلة من خرج فى سبيل الله. يناضل الكفر. ويقاتل الكافرين الذين يبغونها عوجاً حتى الموت ؟!

(١) رد المحتار على الدر المختار جـ١ ص ٨٥٣.

المبحث الثالث
حكم الشهيد. مكانة الشهيد وفضله
مراتب الشهداء

★ **حكم الشهيد:**

قال تعالى: ﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِن لَّا تَشْعُرُونَ ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾[2].

يخبر الله تعالى عن الشهداء بأنهم وإن قتلوا فى الدنيا. فإن أرواحهم حية مرزوقة فى الدار الآخرة.

يقول الإمام القرطبى: (أخبر الله تعالى فيها عن الشهداء أنهم أحياء فى الجنة يرزقون. ولا محالة أنهم ماتوا وإن أجسادهم فى التراب. وأرواحهم كأرواح سائر المؤمنين. وفضلوا بالرزق فى الجنة من وقت القتل حتى كأن حياة الدنيا دائمة لهم).

وقال: وقد اختلف العلماء فى هذا المعنى. فالذى عليه المعظم ما ذكرناه وإن حياة الشهداء محققة. ثم منهم من يقول. ترد إليهم الأرواح فى قبورهم فينعمون. كما يحيا الكفار فى قبورهم فيعذبون:

(١) سورة البقرة: آية ١٥٤.
(٢) سورة آل عمران: آية ١٦٩.

وقال مجاهد: (يرزقون من ثمر الجنة. أى يجدون ريحها وليسوا فيها. وصار قوم إلى أن هذا مجاز..)[١].

ولقد سبق وأوضحنا أن الشهيد فى الإصطلاح الدينى: هو شهيد المعركة. ونرغب هنا أن نفصل الكلام فى تعريف الشهيد فى نظر الشرع. ونذكر الأحكام التى تطيق عليه.

قال صاحب التبين فى تعريف الشهيد: (هو كل مسلم قتله أهل الحرب والبغى. وقطاع الطريق. لقوله ﷺ: «من قتل دون ماله فهو شهيد». أو وجد فى المعركة وبه أثر من جراح. أو قتله مسلم أو ذمى ظلم ولم تجب بقتله دية)[٢].

- ويستوى فى القتل أن يكون مباشرة أو تسبباً[٣]:

كما لو ألقى الكفرة المقاتلون على بلد من بلاد الإسلام قنبلة فأصابت بيتا فانهدم على من فيه من المسلمين هم شهداء. أو تناثرت شظايا فأصابت شظيه منها شجرة فقطعتها وسقطت على ملسم فقتلته فهو شهيد. كذلك من قتل من أهل العدل فى محاربة أهل البغى فهو شهيد. لأن المحاربة معهم مأمور بها فى قوله تعالى: ﴿**وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ**﴾[٤].

---

(١) تفسير القرطبى جـ٢ ص٦١٢ - ٦١٣ النور الإسلامية.
(٢) تبين الحقائق على كنز الدقائق جـ١ ص٢٤٧.
(٣) المبسوط جـ٢ ص٥٣.
(٤) سورة الحجرات: آية ٩.

ولأنه قد قتل باذلا نفسه إبتغاء مرضات الله كالمقتول فى محاربة المشركين سواء بسواء. بدليل أن الإمام عليا -رضى الله عنه- لم يغسل من إستشهد من أصحابه فى قتال البغاه من أهل النهروان[١].

- فالشهيد نوعان: شهيد فى الحقيقة والحكم، وشهيد فى الحكم.

★ الشهيد حقيقة - وحكما لا يغسل:

قال: مالك والشافعى وأبو حنيفة والثورى إلى غسل جميع الشهداء إلا قتيل المعترك فى قتال العدو خاصة. لحديث جابر قال. قال النبى ﷺ: (إدفنوهم بدمائهم)[٢] يعنى ويوم أحد ولم يغسلهم. رواه النجارى وروى أبو داود عن ابن عباس قال: أمر رسول الله ﷺ. بقتلى أحد أن ينتزع عنهم الحديد والجلود وأن يدفنوا بدمائهم وثيابهم[٣].

وبهذا قال أحمد وإسحاق والأوزاعى وداود بن على وجماعة فقهاء الأمصار وأهل الحديث وابن عليه.

وقال سعيد بن المسيب والحسن: يغسلون. وقال أحدهم: إنما لم تغسل شهداء أحد لكثرتهم والشغل عن ذلك.

---

(١) التبيين جـ١ ص٢٤٧.
(٢) أخرجه البخارى فى صحيحه كتاب الجنائز باب من لم يوغسل الشهداء ١/٣٥٦ حديث رقم ١٣٤٦ عن جابر -رضى الله عنه-.
(٣) أخرجه أبو داود فى سننه كتاب الجنائز باب فى الشهيد يغسل ٣/١٩١ حديث رقم ٣١٣٤ عن عبد الله عباس -رضى الله عنه-.

قال أبو عمر: ولم يقل بقول سعيد والحسن هذا أحد من فقهاء الأمصار إلا عبيد الله بن الحسن العنبرى. وليس ما ذكروا من الشغل عن غسل شهداء أحد علة. لأن كل واحد منهم كان له ولى يشتغل به ويقوم بأمره. والعلة فى ذلك -والله أعلم- ما جاء فى الحديث من دمائهم (أنها تأتى يوم القيامة كريح المسك) فأبان أن العلة ليست الشغل كما قال من قال فى ذلك ... وقال هى مسألة اتباع للأثر الذى نقله الكافة فى قتلى أحد لم يغسلوا..

واحتج بعض المتأخرين ممن ذهب مذهب الحسن بقوله عليه السلام فى شهداء أحد: (أنا شهيد على هؤلاء يوم القيامة)[1].

قال: وهذا يدل على خصوصهم وأنه لا يشركهم فى ذلك غيرهم.

وقال أبو عمر: وهذا يشبه الشذوذ. والقول بترك غسلهم أولى. لثبوت ذلك عن النبى ﷺ فى قتلى أحد وغيرهم. بدليل روى أبو داود عن جابر قال: «رمى رجل بسهم فى صدره أو فى حلقه فمات فأدرج فى ثيابه كما هو. قال: ونحن مع رسول ﷺ»[2]، [3].

★ تكفين الشهيد حقيقه وحكم:

شهيدا القتال مع الكفار لا يكفن كسائر الموتى. بل يدفن فى ثيابه التى كانت عليه فى المعركة بعد نزع آلة الحرب عنه.

لحديث: (زملوهم بدمائهم) وفى رواية فى ثيابهم[4].

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه كتاب الجنائز باب الصلاة على الشهيد ٣٥٦/١ عن عقبة بن عامر.
(٢) أخرجه أبو داود فى سننه كتاب الجنائز فى الشهيد يغسل ١٩١/٣ حديث رقم ٣١٢٣.
(٣) تفسير القرطبى جـ٢ ص٦١٣ - ٦١٤. النور الإسلامية.
(٤) الموسوعة الفقهية جـ٢٦ ص٢٧٨.

وروى أن زيد بن صوحان لما اشتهد يوم الجمل قال: (لا تنزعوا عنى ثوباً ولا تغسلوا عنى دماً فإنى رجل محجاج أحاج يوم القيامة من قتلنى).

وكذلك. روى عن عمار بن ياسر أنه قال قول زيد ابن صوحان[1].

★ الشهيد حقيقة وحكما لا يصلى عليه:

إختلف العلماء فى الصلاة على الشهيد[2]: فذهب الإمام مالك والليث والشافعى وأحمد وداود إلى أنه لا يصلى عليهم لحديث جابر قال: كان النبى ﷺ يجمع بين الرجلين من قتلى أحد فى ثوب واحد ثم يقول: (أيهما أكثر أخذاً للقرآن؟ فإذا أشير إلى أحدهما قدمه فى اللحد وقال: «أنا شهيد على هؤلاء يوم القيامة» وأمر بدفنهم بدمائهم ولم يغسلوا ولم يصلى عليهم)[3].

وقد برهنوا على ذلك بأن الصلاة على الميت. شفاعة له عند الله ودعاء له. والشهداء الذين محا الله ذنوبهم وغفر لهم. وجعلهم لديه أحياء. يرفلون فى نعيم الجنة ورزقها الطيب. مستغنون عن ذلك كله. خصوصاً وأنه ﷺ قال: (السيف محاء للذنوب) بل إن فى ترك الصلاة عليهم ترغيبا للذين يلونهم فى طلب الشهادة أملاً بنيل درجة الإستغناء عن الصلاة.

ولئن كان الأنبياء وهم أرفع منهم درجة عند الله يصلى عليهم. فلما بين درجتيهما من فرق من حيث الوصف. إذ أن درجة النبوة غير كسبية.

(١) تفسير القرطبى جـ٢ ص٦١٥.
(٢) المرجع السابق ص٦١٤.
(٣) أخرجه البخارى فى صحيحه كتاب الجنائز باب الصلاة على الشهداء ٣٥٦/١ عن عقبة بن عامر -رضى الله عنه-.

ودرجة الشهادة كسبية. فكان التفريق فى الوصف يقتضى التفريق فى المعاملة. يلحق بذلك أن الله سبحانه وتعالى أخبر عن الشهداء بأنهم أحياء عنده يرزقون. والصلاة شرعت للأموات. فهل يصح أن تكون لمن هم أحياء.

لكن رفض الأحناف هذا الرأى. وذهبوا إلى أنه على العكس يصلى على الشهيد. وذلك لأدلة أوردوها ونصوص اعتمدوها، فقد ثبت لديهم أن النبى ﷺ قد صلى على شهداء أحد. خلافاً لما ثبت لدى الشافعى ومن معه. حتى روى أنه ﷺ صلى على حمزة -رضى الله عنه- يومئذ سبعين مرة.

حيث أن هذا الخبر يؤول بأن حمزة -رضى الله عنه- كان موضوعاً بين يديه ﷺ فكان يؤتى بواحد واحد فيصلى عليه. فظن الراوى أنه ﷺ صلى على حمزة -رضى الله عنه- فى كل مرة. فقال: صلى رسول الله ﷺ على حمزة -رضى الله عنه- سبعين مرة.

ولذلك فقد ردوا أدلة الشافعى وصحبه. وقالوا فى حديث جابر -رضى الله عنه- إنه غير قوى. بل قيل: إنه كان يوم أحد مشغولاً. فقد قتل أبوه وأخوه وخاله. فرجع إلى المدينة. ليدبر أمر حملهم إليها. فلم يك حاضراً حين صلى رسول الله ﷺ على الشهداء...

وقالوا والصلاة على الميت فى الحقيقة ليست للشفاعة والدعاء له فحسب - بل لإظهار كرامته عند الله. ولهذا اختص بها المسلمون. ونهى رسول الله ﷺ عن الصلاة المنافقين. وعلى هذا فإن الشهيد أولى بما هو من أسباب الكرامة. فضلا عن أن العبد مهما تطهر من الذنوب فلا تبلغ درجته درجة الإستغناء عن الدعاء له. ألا ترى أنهم صلوا على رسول الله ﷺ ودرجته دون ما إشكال - فوق درجة الشهداء.

وقالوا: على أنه وإن كان الشهيد حيا عند الله. إلا أن حياته هذه هى فى أحكام الآخرة. أما فى أحكام الدنيا فهو ميت. ويطبق عليه أحكام الأموات فينقسم ميراثه. وتتزوج إمراته بعد إنقضاء عدتها. والصلاة عليه من أحكام الدنيا. فكان لابد من الصلاة عليه[1].

وأجمع العلماء على أن الشهيد إذا حمل حيا ولم يمت فى المعترك وعاش وأكل فإنه يصلى عليه. كما قد صنع بعمر -رضى الله عنه-.

★ مدفن الشهيد:

يدفن الشهداء فى مصارعهم إن أمكن. أخذ آمن فعل رسول الله ﷺ كما سبق أن جابراً -رضى الله عنه- سمع منادى رسول الله ﷺ. بعد أحد أن يدفن القتلى فى مصارعهم. وأنه رجع فدفن أباه وأخاه وخاله فى مصارعهم من أحد. بعد ن كان يدبر أمر حملهم إلى المدينة.

★ الشهيد حكما:

أما الشهيد حكما: فهو الذى ألحق بالشهيد حقيقة من حيث الثواب فى الآخرة فقط. فلا يطبق عليه الحكم الشرعى الذى يطبق على الشهيد حقيقة كالمطعون والمبطون وغيرهما ممن ذكرهم النبى ﷺ فى قوله: (الشهداء خمسة: المطعون. والمبطون. والغريق. وصاحب الهدم. والشهيد فى سبيل الله) .وقال الترمذى حسن صحيح[2].

---

(١) تبين الحقائق على كنز الدقائق جـ١ ص٢٤٨. والدسوقى على الشرح الكبير جـ١ ص٤٤٥ وما بعده وكتاب القناع جـ٢ ص٩٨ وما بعدها.

(٢) كشاف القناع جـ٢ ص١٠٠.

وقد عدهم البعض حتى بلغ بهم بضعة وعشرين. حيث زاد على ما سبق: من مات بذات الجنب أو بالسل أو باللغوة وهى داء الوجه. والمتردى من رأس جبل والمرابط. وطالب العلم. والعالم. ومن مات فى الحج. والمجنون والنفساء. واللديغ. ومن خر عن دابته وسواهم[1]. فهؤلاء جميعا يغسلون. ويكفنون كفن السنة. ويصلى عليهم دونما خلاف ويدفنون فى مقابر المسلمين.

★ حكم المرأة فى الشهادة:

كما يستوى فى الشهادة الرجل والمرأة إذا قتلا فى المعركة مع الكفار فى سبيل الله أو إذا قتلا فى غارة على بلدهم من أهل الحرب. فيطبق عليهما بالسواء الحكم الشرعى. فلا يغسلان ولا يكفنان إلا بثيابهما. ولا يصلى عليهما عند مالك. والشافعى. وأحمد. أو يصلى عليهما عند الأحناف.

★ مكانة الشهيد وفضله:

أعد الله سبحانه وتعالى للشهيد الذى يقتل فى سبيل الله حياة مجددة. فى صورة أكرم من تلك الصورة التى كان عليها فى هذه الدنيا. حيث يلبس فى هذا القتل صورة الحياة الكاملة. وحيث يدعوه الله تعالى إليه. وينزله منازل الإكرام والإحسان عنده فى جنات النعيم.

وفى هذا يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ . فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[2].

(١) كشاف القناع جـ٢ ص١٠٠، ورد المحتار على الدار المختار جـ١ ص٨٥٣.
(٢) سورة آل عمران: اية ١٦٩ - ١٧٠.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا﴾ ...(أن القتل الذى يحذرونه ويحذرون الناس منه ليس مما يحذر بل هو من أجل المطالب التى يتنافس فيها المتنافسون إثر بيان أن الحذر لا يجدى ولا يغنى) والمراد بهم شهداء أحد وكانوا سبعين رجلاً أربعة من المهاجرين حمزة بن عبد المطلب ومصعب بن عمير وعثمان بن شهاب وعبد الله بن جحش وباقيهم من الأنصار رضوان الله تعالى عليهم أجمعين ... قال الإمام الواحدى الأصح فى حياة الشهداء ما روى عن النبى ﷺ من أرواحهم فى أجواف طيور خضر وأنهم يرزقون ويأكلون ويتنعمون[1].

وروى عنه عليه السلام أنه قال: لما أجيب إخوانكم بأحد جعل الله أرواحهم فى أجواف طيور خضر تدور فى أنهار الجنة وروى ترد أنهار الجنة وتأكل من ثمارها وتسرح من الجنة حيث شاءت وتأوى إلى قناديل من ذهب معلقة فى ظل العرش..

(فرحين بما أتاهم الله من فضله) وهو شرف الشهادة والفوز بالحياة الأبدية والزلفى من الله عزوجل والتمتع بالنعيم المخلد عاجلا.

ويستبشرون بما تبين لهم من حسن حال أخوانهم الذين تركوهم وهو أنهم عند قتلهم يفوزون بحياة أبدية لا يكدرها خوف وقوع محذور ولا حزن فوات مطلوب ولا خوف عليهم فى الدنيا من القتل فإنه عين الحياة التى يجب أن يرغب فيها)[2].

(١) أخرجه الإمام مسلم فى صحيحه كتاب الإمارة باب بيان أن أرواح الشهداء فى الجنة وأنهم أحياء عند ربهم يرزقون ١٥٠٢/٣ حديث رقم ١٨٨٧ عن عبد الله بن مسعود -رضى الله عنه-.
(٢) تفسير أبى السعود جـ٢ ص١١١- ١١٢.

كما رفع الله سبحانه وتعالى قدر المجاهدين من المؤمنين على القاعدين. وأجزل لهم فى الفضل مع أن الكثير منهم لا يستشهدون. قال تعالى: ﴿لا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلاًّ وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا . دَرَجَاتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾[1].

يقول صاحب الظلال فى قوله تعالى: ﴿وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا . دَرَجَاتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ الآية ما يهفو له نفس المؤمن من درجات الأجر العظيم. ومن مغفرة الله ورحمته.

(وهذا التوكيد وهذه الوعود وهذا التمجيد للمجاهدين والتفضيل على القاعدين والتلويح بكل ما يهفو له نفس المؤمن من درجات الأجر العظيم ومن مغفرة الله ورحمته هذا كله يشى بحقيقتين هامتين: منها قيمة الجهاد بالأموال والأنفس فى ميزان الله وإعتبارات هذا الدين وأصالة هذا العنصر فى طبيعة هذه العقيدة وهذا النظام. لما يعلمه الله -سبحانه- من طبيعة الطريق. وطبيعة البشر - وطبيعة المعسكرات المعادية للإسلام فى كل حين)[2].

وروى البخارى فى صحيحه عن أبى هريرة -رضى الله عنه- قال: قال: رسول الله ﷺ: (ومن آمن بالله ورسوله. وأقام الصلاة وصام رمضان كان حقاً على الله. أن يدخله الجنة جاهد فى سبيل الله أو جلس فى أرضه التى ولد فيها. فقالوا يا رسول الله أفلا نبشر الناس؟! قال: إن فى الجنة مئة درجة

(١) سورة النساء: آية ٩٥، ٩٦.
(٢) تفسير الظلال جـ٢ ص٧٤١.

أعدها الله للمجاهدين فى سبيل الله. ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض. فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة وفوقه عرش ومنه تفجر أنهار الجنة)[1].

وقد روى الإمام مسلم فى صحيحه عن أبى سعيد الخدرى -رضى الله عنه- أن رسول الله ﷺ قال: يا أبا سعيد من رضى بالله ربا وبالإسلام دينا. وبمحمد ﷺ نبيا وجبت له الجنة. فعجب لها أبو سعيد فقال: أعدها يارسول الله ففعل. ثم قال: وأخرى يرفع الله بها العبد مئة درجة فى الجنة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض. قال: وما هى يارسول الله؟ قال: الجهاد فى سبيل الله؟ الجهاد فى سبيل الله)[2].

وروى الإمام مسلم أيضا فى صحيحه عن أنس -رضى الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: لغدوة فى سبيل الله أوروحة خير من الدنيا وما فيها)[3].

هذا بعض ما روى فى فضل المجاهد عند الله. فكيف بمن قتل؟

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[4].

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه كتاب الجهاد باب درجات المجاهدين فى سبيل الله ٢/٢١٠ حديث رقم ٢٧٩٠.
(٢) أخرجه مسلم فى صحيحه كتاب الامارة باب بيان ما رعده الله للمجاهدين ٣/١٥٠١ رقم ١٨٨٤.
(٣) أخرجة مسلم فى صحيحه كتاب الامارة باب فضل الغدوة والروحة فى سبيل الله ٣/١٤٩٩ حديث رقم ١٨٨٠ عن أنس بن مالك -رضى الله عنه-.
(٤) سورة التوبة: آية ١١١.

قيل: (حقيقة هذا. أن المؤمن متى قاتل فى سبيل الله حتى يقتل. فقد ذهب روحه. وينفق ماله فى سبيل الله. أخذ من الله فى الآخرة الجنة جزاء لما فعل فجعل هذا استبدالا وشراء .. قال الحسن: اسمعوا والله بيعة رابحة وكفاة راجحة. بايع الله بها كل مؤمن. والله ما على الأرض مؤمن إلا وقد دخل فى هذه البيعة)[1].

قال البيضاوى: (فى الكشاف ولا ترى ترغيبا فى الجهاد أحسن ولا أبلغ من هذه الآية لأنه أبرزه فى صورة عقد عاقده رب العزة وثمنه ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر. ولم يجعل المعقود عليه كونهم مقتولين فقط. بل إذا كانوا قاتلين أيضا لإعلاء كلمته ونصر دينه. وجعله مسجلا فى الكتب السماوية)[2].

دلت الآية على أن ثواب الجهاد فى سبيل الله بالمال أو النفس أو بهما معاً هو الجنة. وقد دل الله تعالى على هذا المعنى من طريق المجاز. بتمثيل المبذول عوضه بصفقة بيع وشراء. فمن العبد تسليم النفس والمال ومن الله الثواب والعطاء. وأكد الله تعالى منحه الثواب والجنة. بمؤكدات هى: كون المشترى هو الله. إيصال الثواب بالبيع والشراء وذلك حق مؤكد. وقوله: وعداً - ووعد الله حق.، وإثباته فى الكتب السماوية الكبرى: والتوراه والا نجيل والقرآن. وهذا يتضمن إشهاد جميع الكتب وجميع الرسل والأنبياء على هذه المبايعة.

---

(١) تفسير الرازى جـ١٦ ص١٩٩.

(٢) تفسير البيضاوى جـ٤ ص٣٦٧، تفسير الكشاف للزمخشرى جـ٢ ص١٧٣.

روى البخارى فى صحيحه عن حميد قال: سمعت أنس بن مالك -رضى الله عنه- عن النبى ﷺ قال: ما من عبد يموت له عند الله خير يسره أن يرجع إلى الدنيا وأن له الدنيا وما فيها إلا الشهيد لما يرى من فضل الشهادة فإنه يسره أن يرجع إلى الدنيا فيقتل مرة أخرى)[1].

قال وسمعت أنس بن مالك عن النبى ﷺ أنه قال: (لروحة فى سبيل الله أو غدوة خير من الدنيا وما فيها.. ولو أن امرأة من أهل الجنة أطلعت إلى أهل الأرض لأضاءت ما بينهما ولملأته ريحاً. ولنصيفها (الخمار) على رأسها خيرمن الدنيا وما فيها)[2].

- وقد أنزل الله الشهداء برفقة الأنبياء والصديقين والصالحين. قال تعالى ﴿ **وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا . ذَٰلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ عَلِيمًا** ﴾[3].

أى من عمل بما أمر الله به ورسوله. وترك ما نهاه الله عنه ورسوله. فإن الله عزوجل يسكنه دار كرامته ويجعله مرافقا للأنبياء. ثم لمن بعدهم فى الرتبة وهم الصديقون. ثم الشهداء. ثم عموم المؤمنين. وهم الصالحون الذين صلحت سرائرهم وعلانيتهم. ثم أثنى عليهم تعالى قال ﴿ **وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا** ﴾[4].

---

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه كتاب الجهاد باب تمنى المجاهد أن يرجع إلى الدنيا ٢/٢١٦ حديث رقم ٢٨١٧.

(٢) أخرجه البخارى فى صحيحه كتاب الرقاق باب صفة الجنة والنار ٤/٢١٠ حديث رقم ٦٥٦٨ عن أنس -رضى الله عنه-.

(٣) سورة النساء: آية ٦٩، ٧٠.

(٤) تفسير بن كثير جـ١ ص٥٢٢.

وجعل الله انه وتعالى مرتبة الشهداء فى الدرجة الثالثة بعد الصديقين. وذكرا البيضاوى: (قسمهم إلى أربعة أقسام بحسب منازلهم فى العلم والعمل. وحث كافة الناس على أن لا يتأخروا عنه وهم: الأنبياء الفائزون بكمال العلم والعمل. المتجاوزون حد الكمال إلى درجة التكميل. ثم الصديقون الذين صعدت نفوسهم تارة بمراقى النظر فى الحجج والآيات وأخرى بمعارج التصفية والرياضات إلى أوج العرفان حتى أطلعوا على الأشياء وأخبروا عنها على ما هى عليها ثم الشهداء الذين أدى بهم الحرص على الطاعة. والجد فى إظهار الحق حتى بذلوا مهجهم فى إعلاء كلمة الله. ثم الصالحون الذين صرفوا أعمارهم فى طاعته وأموالهم فى مرضاته)[1].

إن الصورة التى رسمها الإسلام للشهيد. والمنزلة العالية التى رفعه إليها. والمقام الكريم الذى أحله الله فيها فى دار البقاء. ليتنافس فيه المتنافسون ويعمل له العاملون.

قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ . سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ . وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴾[2].

قيل: (أى إستشهدوا ... ،سيهديهم ويصلح بالهم. ويدخلهم الجنة عرفها لهم، أى بينها لهم فى كثير من آياته. تعريفا يشوق كل مؤمن يسعى لها)[3].

وذكر الإمام القرطبى: فى قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ يريد قتلى أحد من المؤمنين ﴿ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴾ .

(١) تفسير البيضاوى جـ٣ ص١٥٣.
(٢) سورة محمد: آية ٤، ٦،.
(٣) تفسير القاسمى جـ١٥ ص٤٦.

قال قتادة: ذكر لنا أن هذه الآية نزلت يوم أحد ورسول الله ﷺ فى الشعب. وقد فشت فيهم الجراحات والقتل وقد نادى المشركون: أعل هبل: ونادى المسلمون: الله أعلى وأجل. وقال المشركون يوم بيوم بدر والحرب سجال. فقال النبى ﷺ: (قولوا لا سواء. قتلانا أحياء عند ربهم يرزقون وقتلاكم فى النار يعذبون).

فقال المشركون: إن لنا العزى ولا عزى لكم. فقال المسلمون: الله مولانا ولا مولى لكم: ﴿ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴾ .. يكون المعنى: سيهديهم إلى الجنة أو سيهدى من بقى منهم أى يحقق لهم الهداية ... ﴿ وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴾ .. أى إذا دخلوها يقال لهم تفرقوا إلى منازلكم فهم أعرف بمنازلهم من أهل الجمعة إذا انصرفوا إلى منازلهم. قال معناه مجاهد وأكثر المفسرين[1].

وفى البخارى ما يدل على صحة هذا القول عن أبى سعيد الخدرى. قال: قال رسول الله ﷺ: (يخلص المؤمنون من النار فيحبسون على قنطرة بين الجنة والنار فيقضى لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم فى الدنيا حتى إذا هذبوا ونقوا أذن لهم فى دخول الجنة فوالذى نفس محمد بيده لأحدهم أهدى بمنزله فى الجنة منه بمنزله فى الدنيا)[2].

دلت الآية على ثواب الشهداء المجاهدين فى سبيل الله. أن الله سبحانه وتعالى لا يضيع أجرهم. ولن يجعل أعمالهم ضائعة كما تضيع أعمال الكفار.

(١) تفسير القبطى جـ١٦ ص١٥٢ - ١٥٣.
(٢) أخرجه الإمام البخارى فى صحيحه كتاب المظالم باب قصاص المظالم ٢/١٠٥ حديث رقم ٢٤٤٠.

أخرج الإمام أحمد والترمذى وابن ماجه عن المقدام بن معد يكرب الكندى -رضى الله عنه- قال رسول الله ﷺ: (إن للشهيد عند الله ست خصال: أن يغفرله فى أول دفقة من دمه. ويرى مقعده من الجنة. ويحلى حلة الإيمان. ويزوج من الحور العين. ويجار من عذاب القبر. ويأمن من الفزع الأكبر. ويوضع على رأسه تاج الوقار مرصع بالدرو الياقوت. الياقوته خيرمن الدنيا وما فيها. ويزوج من اثنتين وسعبين زوجة من الحور العين ويشفع فى سبعين إنساناً من أقاربه[1].

وفى صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو -رضى الله عنهما-. وعن أبى قتادة -رضى الله عنه- أن رسول الله ﷺ قال: (يغفر للشهيد كل شىء إلا الدين)[2].

وحسب المسلم أن يعلم. أن رسول الله ﷺ وهو من هو عند ربه فى مقام الإكرام والإحسان حسبه أن يعلم أن رسول الله ﷺ يتمنى الموت فى سبيل الله. لامرة واحدة. بل مرات عديدة.

فيقول صلوات الله وسلامه عليه. فيما رواه مسلم فى صحيحه. عن أبى هريرة أن النبى ﷺ قال: (والذى نفس محمد بيده لوددت أنى أغزو فى سبيل الله فأقتل. ثم أغزو فأقتل ثم أغزو فأقتل)[3].

(١) أخرجه الترمذى فى سننه كتاب فضائل الجهاد باب ثواب الشهيد ١٨٧/٤ - ١٨٨ حديث رقم ١٦٦٣ وأخرجه الإمام أحمد فى مسنده ١٣١/٤.

(٢) أخرجه الإمام مسلم فى صحيحه كتاب الامارة باب من قتل فى سبيل الله كفرة خطاياه ١٥:٢/٣ حديث رقم ١٨٨٦.

(٣) أخرجه الإمام مسلم فى صحيحه كتاب الامارة باب فضل الجهاد والخروج فى سبيل الله ١٤٩٥/٣ - ١٤٩٦ حديث رقم ١٨٧٦ عن أبى هريرة -رضى الله عنه-.

حسب المسلم أن يعلم هذا فيتأكد له أن لا مطلب أعز ولا أكرم ولا أشرف من الموت فى سبيل الله.

وحسبه أيضا أن يستمع إلى قوله النبى ﷺ فيما رواه البخارى ومسلم عن أنس إذا يقول: (ما من نفس تموت لها عند الله خير. يسرها أن ترجع إلى الدنيا. وأن لها الدنيا وما فيها إلا الشهيد فإنه يتمنى أن يرجع فيقتل مرة أخرى)[1].

يكفى المسلم أن يعلم هذا من الرسول الكريم ﷺ الذى لا ينطق عن الهوى فتهون عليه نفسه وأهله وماله وولده. والدنيا وما فيها. فى سبيل أن يلقى الله فى زمرة الشهداء مصبوغا بالدم الذى أريق منه على جسده والذى يطلع به على أهل الموقف يوم القيامة. شهادة ناطقة بأنه من المجاهدين فى سبيل الله .. يقول المصطفى ﷺ الله.

(ما من مكلوم يكليم فى سبيل الله إلا جاء يوم القيامة وكلمه يدمى. اللون لون دم. والريح ريح مسك)[2].

★ مراتب الشهداء:

من استعراض الأخبار الواردة فى الشهداء يتضح أنهم مع فضلهم وسمو مكانتهم عند الله ذو مراتب متفاوته ولكل فضل ومقام عظيم.

(١) أخرجه الإمام البخارى فى صحيحه كتاب الجهاد باب الحور العين ٢١١/٦ حديث رقم ٢٧٩٥. وأخرجه مسلم فى صحيحه كتاب الإماره باب فضل الشهادة فى سبيل الله تعالى ١٤٩٨/٣.

(٢) أخرجه الإمام البخارى فى صحيحه كتاب الذبائح باب المسك ٤٥٤/٣ حديث رقم ٥٥٣٣.

قال تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ أَلاَّ تُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُوْلَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلاًّ وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾[1].

- ذكر القرطبى فى تفسيره: قال قتادة: كان القتال والنفقة قبل فتح مكة أفضل من القتال والنفقة بعد ذلك .. أى لا يستوى منكم من أنفقه قبل الفتح وقاتل ومن أنفق من بعد الفتح وقاتل .. كانت النفقة قبل الفتح أعظم لأن حاجة الناس كانت أكثر لضعف الإسلام. وفعل ذلك كان على المنفقين حينئذ أشق والأجر على قدر النصب، والله أعلم[2].

دلت الآية على تفاوت المراتب والدرجات للذين أنفقوا وقاتلوا الأعداء قبل الفتح. لأن حاجة المسلمين كانت أشد وأعظم بعد الفتح كما قال تعالى: ﴿لا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ﴾[3]. وأن الله تعالى وعد كلاً من المتقدمين المتناهين السابقين. والمتأخرين اللاحقين الجنة. مع تفاوت الدرجات.

فقد نقل عن إبن إسحاق: ولما أصيب القوم (يعنى فى غزوة مؤتة) قال رسول الله ﷺ. فيما بلغنى: (أخذ الراية زيد بن حارثة فقاتل بها حتى قتل شهيداً. ثم أخذها جعفر فقاتل بها حتى قتل شهيداً).

قال: ثم صمت رسول الله ﷺ حتى تغيرت وجوه الأنصار وظنوا أنه قد كان فى عبد الله بن رواحة بعض ما يكرهون. ثم قال: أخذها عبد الله بن

(١) سورة الحشر: آية ٢٠.
(٢) تفسير القرطبى جـ٩ ص٤٧١، النور الإسلامية.
(٣) سورة الحشر: آية ٢٠.

رواحة فقاتل بها حتى قتل شهيداً. ثم قال: لقد رفعوا إلى الجنة فيما يرى النائم على سرر من ذهب. فرأيت فى سرير عبد الله بن رواحة إزوراراً عن سريرى صاحبية.

فقلت: عم هذا؟ فقيل لى: مضيا وتردد عبد الله بن رواحة بعض التردد ثم مضى[1].

وروى عن إبن عباس أن النبى ﷺ قال: (دخلت الجنة البارحة ج فرأيت جعفراً يطير مع الملائكة وجناحاه مضرجان بالدم)[2].

وعن سعيد بن المسيب قال: قال رسول الله ﷺ: (مثل لى جعفر وزيد وعبد الله ابن رواحة فى خيمة در على أسرة. فرأيت زيداً وعبد الله وفى أعنافهما صدود. ورأيت جعفرا مستقيما. فقيل لى إنهما حين غشيهما الموت أعرضا بوجوههما ومضى جعفر فلم يعرض[3].

مما سبق يتضح تفاوت الشهداء فى المراتب والدرجات. وتفاوتهم فى المقام والمنزلة عند الله حسب شعورهم الذى كان يخالجهم قبل الإستشهاد وخلال المعركة أو حسب موقفهم منها.

وقد كتب السهيلى: «ومما وقع فى السيرة أيضاً ولم يذكره ابن هشام حديث رواه ابن إسحاق.

(١) البداية والنهاية ابن كثير جـ٤ ص٢٦٥.
(٢) أخرجه الترمذى فى سننه كتاب المناقب باب مناقب جعفر بن أبى طالب -رضى الله عنه- ٥/٦٥٤ حديث رقم ٣٧٦٣.
(٣) أورد علاء الدين الهندى فى كنز العمال فى سنن الأقوال والأفعال كتاب الفضائل باب جعفر بن أبى طالب ١١/٦٦٥ حديث رقم ٣٣٢١٤ ط مؤسسة الرسالة.

وعن ابن إسحاق قال: (حدثنى إسحاق ابن عبد الله بن أبى فروة قال حدثنى بعض أهل العلم: أن رسول الله ﷺ قال الشهداء ثلاثة:

فأدنى الشهداء عند الله منزلة رجل خرج مسوراً بنفسه ورحله لا يريد أن يقتل ولا يقتل أتاه سهم غرب فأصابه: قال فأول قطرة تقطر من دمه يغفر الله بها ما تقدم من ذنبه. ثم يهبط الله جسداً من السماء فيجعل فيه روحه. ثم يصعد به إلى الله فما يمر بسماء من السموات إلا شيعته الملائكة حتى ينتهى به إلى الله. فإذا إنتهى به إليه وقع ساجداً ثم يؤمر به فيكسى سبعين زوجاً من الإستبرق ثم يقول رسول الله ﷺ كأحسن ما رأيتم من شقائق النعمان).

وحدث كعب الأحبار عن قول رسول الله ﷺ فقال: (أجل كأحسن ما رأيتم من شقائق النعمان. ثم يقول: اذهبوا به إلى إخوانه من الشهداء فجعلوه معهم فيؤتى به إليهم فى قبة خضراء فى روضة خضراء عند باب الجنة ... إلى إن يقول: (فإن هذا الأدنى من الشهداء عند الله منزلة).

(وإن الآخر رجل خرج مسوراً بنفسه ورحله. يجب أن يقتل ولا يقتل أتاه سهم غرب فأصابه فذلك رفيق ابراهيم خليل الرحمن يوم القيامة تحك ركتباه ركبته).

وأفضل الشهداء رجل خرج مسوراً بنفسه ورحله يحب إن يقتل ويقتل. وقاتل حتى قتل قعصاً فذلك يبعثه الله يوم القيامة شاهراً سيفه يتمنى على الله لا يسأله شيئا إلا أعطاه إياه»[1].

(١) السهيلى على ابن هشام جـ٢ ص ١٥٢.

★ شهداء عصر النبى ﷺ:

لقد نال الشهادة وفاز بها من عصر النبى ﷺ عدد كبير يصعب حصره هنا لكن ذكرت كتب السيرة وقائع ومشاهد مزهلة وقعت لكثير ممن إستشهدوا فى المعارك التى دارت بين الكافرين والمسلمين فى عهد الرسول ﷺ وفيما يلى جزءاً منها:

كان فيمن إستهشد يوم بدر عمرو بن أبى وقاص. فذكر الواقدى أن النبى ﷺ كان قد رده فى ذلك اليوم لأنه إستصغره فبكى عمرو فلما رأى النبى ﷺ بكاء ه أذن له فى الخروج معه فقتل وهو ابن ست عشر سنة قتله العاص بن سعيد.

وخرج رسول الله ﷺ يوم بدر أيضا إلى الناس فحرضهم وقال: (والذى نفس بيده لا يقاتلهم رجل فيقتل صابرا محتسبا مقبلا غير مدبر إلا أوصله الله الجنة).

فقال عمير بن الحمام - أخو بنى سلمة - وفى يده تمرات يأكلهن: بخ بخ - كلمة تقال عند المدح والرضا بالشىء - أما بينى وبين أن أخدل الجنة إلا أن يقتلنى هؤلاء ثم قذف التمرات من يده وأخذ سيفه فقاتل القوم حتى قتل.

وروى ابن هشام أن رسول الله ﷺ قال حين فرغ الناس إلى قتلاهم يوم أحد: (من رجل ينظر لى ما فعل سعد بن الربيع. أفى الأحياء هو أم فى الأموات فقال رجل من الأنصار أنا أنظر لك يا رسول الله ما فعل سعد فنظر فوجده جريحا فى القتلى وبه دمع. قال فقلت له: إن رسول الله ﷺ أمرنى أن أنظر فى الأحياء أنت أم فى الأموات؟ قال أنا فى الأموات فأبلغ

رسول الله ﷺ عنى السلام وقل له: إن سعد بن الربيع يقول لك جزاء الله عنا خير ما جزى نبينا عن أمته. فأبلغ قومك عنى السلام وقل لهم إن سعد بن الربيع يقول لكم إنه لا عذر لكم عند الله أن خلص إلى نبيكم ﷺ وفيكم عين تطرف ثم لم يبرح حتى مات. ورجع الصحابى إلى رسول الله ﷺ وأخبره الخبر.

ونقل عن أشياخ بنى سلمة أن عمرو بن الجموح كان رجلاً أعرج شديدا العرج وكان له بنون أربعة مثل الأسد. يشهدون مع رسول الله ﷺ المشاهد. فلما كان يوم أحد أرادوا حبسه وقالوا له إن الله عزوجل قد عذرك فأتى رسول الله ﷺ فقال إن بنى يريدون أن يحبسونى عن هذا الوجه والخروج معك فيه. فوالله إنى لأرجوا أن أطأ بعرجتى هذه فى الجنة. فقال رسول الله ﷺ أما أنت فقد عذرك الله فلا جهاد عليك وقال لبنيه ما عليكم أن لا تمنعوه لعل الله أن يرزقه الشهادة فخرج معه فقتل يوم أحد.

هذه بعض من مشاهد الشهداء الذين أكرمهم الله تعالى فسقطوا فى ميدان الشرف والكرامة فى بعض من غزوات الرسول ﷺ دفاعاً عن الإسلام وإعلاءاً لكلمة لا إله إلا الله محمدا رسول الله ﷺ أوردته بين بعض من نماذج وبطولات أولئك الأبرار الأطهار. الذين صحوا بأنفسهم فى سبيل الله ونصرة دينه ورسوله ﷺ والهدف من نقل هذا النموذج من البطولات الإسلامية الأولى. تقديم صورة صادقة عن إخلاص أولئك المؤمنين وصدقهم وعن روعة الدور العظيم الذى قاموا به فى كفاحهم ونضالهم عن العقيدة التى آمنوا بها ضد الكفر وأهله. لنجد فى بطولاتهم المثل والأسوة فى الجهاد من نفر من أجدادنا المسلمين بالرغم من قلة عددهم وعدتهم. عسى أن تتحرك فى شبابنا روح المنافسة والإقتداء.

المبحث الرابع
الشهيد فى الديانات السماوية

إن الشهيد بمعناه الدينى السابق. وإن كان حديثا بالنسبة لإستعمالات العرب اللغوية خلال العصر الجاهلى إلا أنه كان معروفا لدى أرباب الديانات السماوية السابقة بدليل قوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾[1].

ذكر الإمام القرطبى فى قوله تعالى: ﴿ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ ﴾ إخبار من الله تعالى أن هذا كان فى هذه الكتب. وأن الجهاد ومقاومة الأعداء أصله من عهد موسى عليه السلام[2].

وقال الفخر الرازى: واختلفوا فى أن هذا الذى حصل فى الكتب ما هو؟ فالقول الأول: أن هذا الوعد الذى وعده للمجاهدين فى سبيل الله وعد ثابت فقد أثبته الله فى التروراة والانجيل كما أثبته فى القرآن.

القول الثانى: المراد أن الله تعالى بين فى التوراة والانجيل أنه إشترى من أمة محمد عليه الصلاة والسلام أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة. كما بين فى القرآن.

القول الثالث: أن الأمر بالقتال والجهاد هو موجود فى جميع الشرائع[3].

---

(١) سورة التوبة: آية ١١١.

(٢) تفسير القرطبى جـ٤ ص٦٦٧ النور الإسلامية.

(٣) تفسيرالفخر الرازى جـ١٦ ص٢٠١.

وقيل: «إخبار من الله أن هذا كان فى هذه الكتب .. وإن الجهاد ومحاربة الأعداء. إنما أصله من عهد موسى»[١].

ويثبت ذلك أيضا: قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ﴾[٢].

ذكر ابن العربى: قال بعضهم: يدل قوله: (ما كان لنبى أن يكون أسرى..) الآية على تكليف الجهاد لسائر الأنبياء.

وقال: كان الجهاد واجباً على أنبياء قبل محمد ﷺ لكن لم يكن لهم أسرى ولا غنيمة)[٣].

ما سبق يبين ويثبت أن الجهاد فى سبيل الله كان مفروضاً على أهل الكتاب المتقدمين. كما هو مفروض علينا.

خاصة وأن أتباع الأنبياء السابقين كابراهيم ويعقوب وداود وموسى وعيسى -عليهم السلام- الذين آمنوا بالكتب المنزلة على وجهها الصحيح مسلمون ولا يختلفون معناه فى شىء من حيث الأصول.

قال تعالى: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾[٤].

قيل: «هذا إستثناء من الأحوال. أى إلا على هذه الحالة. والمعنى الثبوت على الإسلام... وقد اشتملت هذه الجملة على لطائف منها.. إطلاق الوصية.

---

(١) أحكام القرآن لابن العربى جـ٢ ص٥٨٩.
(٢) سورة الأنفال: آية «٦٧».
(٣) أحكام القرآن لابن العربى جـ٢ ص٤٣٣.
(٤) سورة البقرة: آية «١٣٢».

ولم يقيدها بزمان ولا مكان. ثم ختمها بأبلغ الزجر أن يموتوا غير مسلمين. التوطئة لهذا النهى والزجر بأن الله تعالى هو الذى اختار لكم دين الاسلام. فلا تخرجوا عما اختاره الله لكم»[١].

وقد بشر برسالة سيدنا محمد ﷺ على سبيل التأييد كل من موسى وعيسى. عليهما السلام - وأثبت القرآن الكريم ذلك فى قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ﴾[٢].

وقال تعالى حكاية عن سيدنا عيسى عليه السلام: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾[٣].

بذلك يكون مصير الذين يقتلون من المؤمنين بالله فى ميدان المعركة مع الكافرين الجاحدين. أو فى تضال الكفر. كان ذلك كما هو فى الاسلام هو الجنة.

وإذا كان القرآن الكريم لم ينص صراحة على وصف الذين كانوا يقاتلون الكافرين من مجاهدى الأمم السابقة بأنهم شهداء. إلا أن مفهوم النص لا يخرج عن هذا المعنى فى شىء. خصوصاً إذا ربطنا هذا النص الكريم بقول رسول الله ﷺ فى حديث أبى موسى الأشعرى -رضى الله عنه- حيث جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال: (الرجل يقاتل للمغنم. والرجل يقاتل للذكر. والرجل

---

(١) تفسير البحر المحيط جـ١ ص٥٧٣.
(٢) سورة الأعراف: آية «١٥٧».
(٣) سورة الصف: آية «٦».

يقاتل ليرى مكانه. فمن فى سبيل الله؟ قال: من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو فى سبيل الله)[١].

وعندما يقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ﴾[٢] يكون مفهوم هذا القول: أن القتال الذى عناه المولى الكريم هنا. هو الذى يكون إعلاء لكلمته. وطبيعى أن الذين يقتلون فى ساحة المعركة ضد الكافرين بهذا القصد شهداء.

يؤكد هذا أيضا قوله تعالى: ﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ. وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلاَّ أَن قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ. فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾[٣].

وقد علق الإمام الرازى على هذه الآية بقوله: (لا يمتنع أن تكون هذه الآية مختصة بالشهداء. وقد أخبر الله تعالى عن بعضهم أنهم أحياء عند ربهم يرزقون. فيكون حال هؤلاء الربيين أيضا كذلك. فإنه تعالى فى حال إنزال هذه الآية كان قد آتاهم حسن ثواب الآخرة فى جنان السماء)[٤].

دلت آية ﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ.... ﴾ على غاية التجرد والموضوعية والعدالة وإنصاف الحقائق. فليس العمل الصالح والجهاد فى سبيل الله والثبات والصبر

---

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه كتاب الجهاد باب من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا: ٢/٢١٥٢١٤ حديث رقم ٢٨٦٠ عن أبى موسى رضى الله عنه.

(٢) سورة التوبة: آية ١١١. (٣) سورة آل عمران من ١٤٦ – ١٤٨.

(٤) تفسير الفخر الرازى جـ٩ ص٢٩.

فى الحرب مقصوراً على أصحاب سيدنا محمد ﷺ فكثير من أتباع الأنبياء السابقين كانت لهم مواقف رائعة. وبطولات خارقة فجاهدوا وقاتلوا. وصبروا وقتلوا. ومالانت لهم قناه. ولا خارت لهم عزيمة. ولا ذلوا ولا خضعوا لما أصابهم فى الجهاد. وكان فعلهم هذا مقروناً بقولهم الدال على قوة إيمانهم. وطهارة نفوسهم وإخلاصهم فى طلب رضوان الله. فتضرعوا إلى ربهم وقت الشدة والمحنة وعند لقاء العدو. فاستحقوا إنعام الله عليهم فى الدنيا بالنصر والظفر على عدوهم. وفى الآخرة بالجنة. ووصفوا بالإحسان وأوتوا ثواباً عظيما دائما لايحده حصر.

★ *الشهادة فى الديانة اليهودية من خلال آيات القرآن الكريم:*

سجل القرآن الكريم رغبة الملأ من بنى إسرائيل من بعد سيدنا موسى -عليه السلام- فى القتال فى سبيل الله. ثم قتالهم بالفعل وإستنصارهم بالله، ونصر الله لهم على عدوهم. فما يؤكد أن مفهوم الشهيد عندهم - كما هو منقول من القرآن الكريم - لا يختلف فى شىء عنه عندنا.

قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلإِ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ مِن بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَّهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلاَّ تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلاَّ نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ. وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ. وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَن يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلاَئِكَةُ

إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ . فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلاَّ مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلاقُوا اللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ . وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ . فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾[1].

ذكر الإمام الرازى: قال وهب والكلبى: (إن المعاصى كثرت فى بنى إسرائيل. والخطايا عظمت فيهم. ثم غلب عليهم عدو لهم فسبى من ذراريهم. فسألوا ذبيهم ملكا تنتظم به كلمتهم ويجتمع به أمرهم ويستقيم حالهم فى جهاد عدوهم. وقيل: تغلب جالوت على بنى إسرائيل. وكان قوام بنى إسرائيل بملك يجتمعون عليه يجاهد الأعداء. ويجرى الأحكام. ونبى يطيعه الملك. ويقيم أمر دينهم ويأتيهم بالخبر من عند ربهم) . روى أن طالوت قال لقومه: (لا ينبغى أن يخرج معى رجل يبنى بناء لم يفرغ منه ولا تاجر مشتغل بالتجارة ولا متزوج بإمرأة لم يبن عليها ولا أبغى إلا الشاب النشيط الفارغ فاجتمع إليه ممن اختار ثمانون ألفاً...

وإبتلاهم الله تعالى بنهر. قال تعالى ﴿ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ ﴾ ... أن المقصود من هذا الإبتلاء أن يتميز الصديق عن الزنديق والموافق عن المخالف فلما ذكر الله تعالى أن الذين يكونون أهلا لهذا القتال هم الذين لايشربون من

(١) سورة البقرة: آيات من ٢٤٦ - ٢٥١.

هذا النهر. وأن كل من شرب منه فانه لا يكون مأذونا فى هذا القتال. وكان فى قلبهم نفرة شديدة عن ذلك القتال. لا جرم أقدموا على الشرب فتميز الموافق عن المخالف. والصديق عن العدو... وقيل: المؤمنون الذين عبروا النهر كانوا فريقين: بعضهم ممن يحب المياة وكره الموت وكان الخوف والجزع غالبا على طبعه. ومنهم من كان شجاعاً قوى القلب لا يبالى بالموت فى طاعة الله.. فالقسم الأول: هم الذين قالوا ﴿ لا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ ﴾ والقسم الثانى: هم الذين أجابوا بقولهم ﴿ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً ﴾ .. ويحتمل أن القسم الأول من المؤمنين لما شاهدوا هدوا قلة عسكرهم قالوا ﴿ لا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ ﴾ فلابد أن نوطن أنفسنا على القتل. لأنه لا سبيل إلى الفرار من أمر الله. والقسم الثانى قالوا: لا نوطن أنفسنا بل نرجو من الله الفتح والظفر: فكان غرض الأولين الترغيب فى الشهادة والفوز بالجنة. وغرض الفريق الثانى الترغيب فى طلب الفتح والنصرة[1].

وفى قوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ الآية ﴾ طلبوا من الله أن يفرغ عليهم الصبر أى يغمرهم به من فوقهم فتستقر قلوبهم ولا تقلق. وأن يثبت أقدامهم فى مجال الحرب ومعترك الأبطال وحومة الوغى والدعاء إلى النزال فسألوا التثبيت الظاهر والباطن وأن ينزل عليهم النصر على أعدائهم وأعدائه الكافرين الجاحدين بآياته وآلائه. فأجابهم العظيم القدير السميع البصير الحكيم الخبير إلى ما سألوا وأنا لهم ما إليه فيه رغبوا . ولهذا قال: ﴿ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ أى بحول الله لا يحولهم وبقوة الله ونصره لا بقوتهم وعددهم. مع كثرة أعدائهم

(١) تفسير الفخر الرازى جـ٦ ص١٧٠ - ١٨٤.

وكمال عددهم[١] كما قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾[٢]. والهدف من هذه الآيات السابقة: البيان (بأن القتال كان مطلوباً مشروعاً فى الأمم السابقة. فليس من الأحكام التى خصصتم بها. لأن ما يوقع فيه الإشتراك كانت النفس أميل لقبوله من التكليف الذى يكون يقع به الأنفراد)[٣].

وقد علق الزمخشرى على قوله تعالى: ﴿ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُوا اللَّهِ ﴾ «يعنى الخلص منهم الذين نصبوابين أعينهم لقاء الله وأيقنوه أو الذين تيقنوا أنهم يستشهدون عما قريب ويلقون الله والمؤمنون مختلفون فى قوة اليقين ونصوع البصيرة»[٤].

هذه قصة جرت فى بنى إسرائيل يستفاد منها:-

ان الجهاد فى سبيل الله كان فى الأمم السابقة كما كان فى الإسلام لإعلاء كلمة الله وإقامة العدل ودفع الظلم.

كما أن الجهاد فى سبيل الله يتطلب إعداداً نفسيا وتربويا عظيما. وخبرة وكفاءة ومهارة. وجرأة وشجاعة وعزيمة صادقة وإخلاصا وتضحية وتفانيا فى سبيل المبدأ والعزة والكرامة. فهو لا يكون بالأمانى والتعللات وإنما بالبطولة وقوة الإرادة.

أن المنزلة العالية التى رفع إليها الإسلام قدر الشهيد ومكانته. لم تكن من معطيات هذا الدين وحده. وإنما هى مما جعل الله لكل من يقاتلون فى سبيله ويقدمون أنفسهم قرباناً لله. وإنتصار لدينه. ودفاعاً عن حرماته.

(١) قصص الأنبياء لابن كثير ص٤٨٤.
(٢) سورة آل عمران: آية ١٢٣.
(٣) تفسير البحر المحيط جـ٢ ص٤٠٥.
(٤) تفسير الزمخشرى جـ١ ص١٥٠.

لا ينضب الخير فى الأمة. فإن تولى الأكثرون واجب الجهاد. فإن الخير فى القليل. وهم يعملون مالا يعمله الأكثرون.. والله عليم بأعمال هؤلاء فيجازيهم خيراً. وعليم بأفعال الظالمين. فيعذبهم بما يستحقون.

إن الفئة القليلة قد تغلب الفئة الكثيرة بقوة الإيمان والصبر والثبات وطاعة القائد. والمقصود بالإيمان: هو الإيمان بالله تعالى. والتصديق بلقائه وإنتظار الثواب العظيم وتحقيق المكانة العالية للشهداء فى الجنة.

★ **الشهادة فى الديانة المسيحية:**

وقد ثبت من السنة الصحيحة. أن المؤمنين الصادقين من أهل الكتاب المسيحيين كانوا يتصدون للكفر والمنكر ويقعون معهما فى نضال مرير. وأنهم كثيراً ما كانوا ينتهون إلى عذاب أو إستشهاد كريم.

وقد روى ابن هاشام فى كتاب السيرة عن محمد بن كعب القرظى قصة الغلام النجرانى الذى اختير لتعلم السحر لدى بعض الكهان. ثم شاء الله له أن يتعرف على أحد الرهبان. وإلتصق به وأخذ عنه. وترك السحر. ثم ظهرت على يديه خوارق العادات. مما يقع للأنبياء والأولياء مما عرضه للبلاء وتهديدات الملك وتنكيله مع الذين آمنوا معه بالله. وكيف أنهم جميعا لم يبالوا وثبتوا على دينهم فقطع بعضهم بالمنشار نصفين. وأن الغلام لكى يفوز بإيمان أهل نجران كلها. أقنع الملك بأن لا سبيل له ليتخلص منه. ويتمكن من قتله إلا إذا صلبه أمام الجمهور وينادى بينهم بأعلى صوته باسم الله رب الغلام. ثم رماه. وأن الملك استجاب له ورمى الغلام بالنبل فقتل الغلام. وكان ثمن ذلك إيمان جميع أهل نجران. وأنه ما كان من الملك إلا أن خد الأخاديد لهؤلاء. المؤمنين. وألقى فيها الحطب ثم أضرم فيه النيران. وعرض الجميع عليها. فمن كفر بالله تركه. ومن ثبت على إيمانه طرحه فى النار.

ويفهم من هذه القصة: أن هذا الغلام ضحى بنفسه ليفوز بإيمان النجرانيين. وهو عمل لا يقوم به إلا الشهداء.

وقد علق العلامة السهيلى فى الروض على منقول ابن هشام هذا بقوله: (وحديث عبد الله ابن التامر رواه ابن إسحاق موقوفاً. على محمد بن كعب القرظى. عن بعض نجران. ليصل به إلى حديث صحيح. وهو حديث ثابت عن رسول الله ﷺ. فهو أولى أن يعتمد. وهو يخالف حديث ابن اسحاق فى ألفاظ كثيرة)[1].

لذلك: فإن من المفيد نقل رواية الإمام مسلم فى هذه القصة واعتمادها كما يلى:-

عن صهيب -رضى الله عنه- أن رسول الله ﷺ قال: «كان ملك فيمن كان قبلكم. وكان له ساحر. فلما كبر. قال للملك: إنى قد كبرت فابعث إلى غلاماً أعلمه السحر. فبعث إليه غلاماً ليعلمه فكان فى طريقة إذا سلك راهب فقعد إليه وسمع كلامه فأعجبه. فكان إذا أتى الساحر مربالراهب. وقعد إليه. فإذا أتى الساحر ضربه. فشكى ذلك إلى الراهب فقال: إذا خشيت الساحر. فقل: حبسنى أهلى.

وإذا خشيت أهلك. فقل: حبسنى الساحر. فبينما هو كذلك إذ أتى على دابة عظيمة قد حبست الناس فقال: اليوم أعلم الساحر أفضل أم الراهب أفضل؟ فأخذا حجرا. فقال: اللهم إن كان أمر الراهب أحب إليك من أمر الساحر فاقتل هذه الدابة حتى يمضى. فرماها فقتلها. ومضى الناس. فأتى الراهب. فأخبره. فقال له الراهب: أى بنى: أنت اليوم أفضل منى قد بلغ من أمرك ما أرى. وأنك ستبتلى. فإن إبتليت فلا تدل على.

(١) السهيلى على ابن هشام جـ١ ص٣٤.

وكان الغلام يبرىء الأكمه «الذى ولد أعمى» والأبرص. ويداوى الناس من سائر الأدواء. فسمع جليس للملك كان قد عمى. فأتاه بهدايا كثيرة فقال: ما ها هنا لك أجمع. أنت شفيتنى. قال: إنى لأشفى أحدا. إنما يشفى الله. فإن آمنت بالله. ودعوت الله فشفاك. فآمن بالله فشفاه الله فأتى الملك. فجلس إليه كما كان يجلس فقال له الملك: من رد عليك بصرك؟ قال ربى. قال: أولك رب غيرى؟ قال: ربى وربك الله. فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الغلام. فجىء بالغلام.

فقال له الملك: أى بنى: قد بلغ من سحرك ماتبرىء الأكمه والأبرص وتفعل وتفعل؟ فقال: إنى لا أشفى أحدا إنما يشفى الله عزوجل. فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الراهب فجىء بالراهب فقيل له: ارجع عن دينك. فأبى فدعا بالمنشار فوضع المنشار فى مفرق رأسه فشقه حتى وقع شقاه ثم جىء بجليس الملك فقيل له: إرجع عن دينك. فأبى فوضع المناشر فى مفرق رأسه فشقه حتى وقع شقاه. ثم جىء بالغلام. فقيل له: ارجع عن دينك. فأبى.، فدفعه إلى نفر من أصحابه. فقال: إذهبوا به إلى جبل كذا وكذا. فاصعدوا به الجبل فإذا بلغتم ذروته. فإن رجع عن دينه وإلا فاطرحوه. فذهبوا به. فصعدوا به الجبل فقال: اللهم اكفنيهم بما شئت. فرجف بهم الجبل فسقطوا. وجاء يمشى إلى الملك. فقال له الملك. ما فعل أصحابك؟ قال كفاينهم الله. فدفعه إلى نفر من أصحابه فقال: اذهبوا به فاحملوه فى قرقور فتوسطوا به البحر فإن رجع عن دينه وإلا فاقذفوه. فذهبوا. فقال: اللهم اكفنيهم بما شئت. فانكفأت بهم السفينة فغرقوا. وجاء يمشى إلى الملك. فقال له الملك: ما فعل أصحابك؟ فقال: كفاينهم الله. فقال للملك: إنك لست بقاتلى حتى تفعل ما أمرك. قال: وما هو؟ قال: تجمع الناس فى صعيد واحد. وتصلبنى على جذع. ثم خذ سهماً من كنانتى. ثم ضع السهم فى كبد القوس. ثم قل: باسم الله رب الغلام. ثم

إرمنى. فإنك إذا فعلت ذلك قتلتنى. فجمع الناس فى صعيد واحد. وصلبه على جذع. ثم أخذ سهما من كنانته. ثم وضع السهم فى كبد القوس. ثم قال: باسم اله رب الغلام. ثم رماه. فوقع السهم فى صدغه. فوضع يده فى صدغه فى موضع السهم. فمات فأتى الملك. فقيل له: أرأيت ما كنت تحذر؟ قد والله ينزل بك حذرك. قد آمن الناس. فأمر بالأخدود بأفواه السكك. فخدت. وأضرم النيران. وقال: ما لم يرجع عن دينه فاحموه فيها. أو قيل له: اقتحم ففعلوا. حتى جاءت امرأة ومعها صبى لها. فتقاعست أن تقع فيها فقال لها الغلام. يا أمة اصبرى فإنك على الحق»[1].

وقد ذكر الله سبحانه وتعالى هذه القصة فى كتابه الكريم فى سورة البروج.

فقال تعالى: ﴿ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ . وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ . وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ . قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ . النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ . إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ . وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ . وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾[2].

ذكر القرطبى فى قوله تعالى: ﴿ قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ ﴾ «أى لعن. قال ابن عباس: كل شىء فى القرآن «قتل» فهو لعن .. و «النار ذات الوقود» .. أى ذات الأتقاد والالتهاب وقيل: ذات الوقود بأبدان الناس.. «إذ هم عليها قعود» أى الذين خددوا الأخاديد وقعدوا عليها يلقون فيها المؤمنين. وكانوا بنجران فى الفترة بين عيسى ومحمد ﷺ وقد إختلفت الرواية فى حديثهم. والمعنى متقارب..

(١) أخرجه الإمام مسلم فى صحيحه كتاب الزهد باب قصة أصحاب الأخدود والساحر والراهب والغلام ٤/٢٢٩٩ - ٢٣٠١ حديث رقم ٣٠٠٥ عن صهيب رضى الله عنه.

(٢) سورة البروج: الآيات من ١-٨.

وقال: أعلم الله عزوجل المؤمنين من هذه الأمة فى هذه الآية ما كان يلقاه من وحد قبلهم من الشدائد. يؤنسهم بذلك. وذكر لهم النبى ﷺ قصة الغلام ليصبروا على ما يلقون من الأذى والآلام. والمشقات التى كانوا عليها. ليتأسوا بمثل هذا الغلام فى صبره وتصلبه فى الحق وتمسكه به. وبذله نفسه فى حق إظهار دعوته. ودخول الناس فى الذين مع صغر سنه وعظم صبره. وكذلك الراهب صبر على التمسك بالحق حتى نشر بالمنشار. وكذلك كثير من الناس لما آمنوا بالله تعالى ورسخ الإيمان فى قلوبهم صبروا على الطرح فى النار. ولم يرجعوا فى دينهم ... قال الله تعالى مخبرا عن لقمان: ﴿ يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾[1].

وروى أبو سعيد الخدرى: أن النبى ﷺ قال: (إن من أعظم الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر)[2].

وروى ابن سنجر محمد بن سنجر عن أميمة مولاة النبى ﷺ قالت كنت أوضىء النبى ﷺ فأتاه رجل فقال: أوصنى. فقال: (لا تشرك بالله شيئا وإن قطعت أو حرقت بالنار..)[3].

ولقد امتحن كثير من أصحاب النبى ﷺ بالقتل والصلب والتغريب الشديد فصبروا ولم يلتفتوا إلى شىء من ذلك. ويكفيك قصة عاصم

(١) سورة لقمان: آية «١٧».

(٢) أخرجه أبو داود فى سننه كتاب الملاحم باب الأمر والنهى ٤/١٢٢ حديث رقم ٤٣٤٤ عن أبى سعيد رضى الله عنه وأخرجه الترمذى فى سننه كتاب الفتن باب ما جاء أفضل الجهاد كلمة عدل عن سلطان جائر ٤/٤٧١ حديث رقم ٢١٧٤ وحسنه الترمذى.

(٣) أخرجه الطبرانى فى المعجم الكبير ٢٤/١٩٠ حديث رقم ٤٧٩ ط الثانية.

وخبيب واصحابهما وما لقوا من الحروب والمحن والقتل والأسر والحرق. وغير ذلك[1].

وفى القرآن الكريم ذكر لأمثال هؤلاء المجاهدين الصابرين الذين إنتهى بهم جهادهم للكفر والشر والفساد وصبرهم على عذاب الكافرين إلى الإستشهاد. وما قصة صاحب سورة يس عنا ببعيد.

يقول تعالى: ﴿ وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلاً أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ . إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ . قَالُوا مَا أَنتُمْ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَا أَنزَلَ الرَّحْمَنُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ تَكْذِبُونَ . قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ . وَمَا عَلَيْنَا إِلاَّ الْبَلاغُ الْمُبِينُ . قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِن لَّمْ تَنتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ . قَالُوا طَائِرُكُم مَّعَكُمْ أَئِن ذُكِّرْتُم بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ . وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ . اتَّبِعُوا مَن لاَّ يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ . وَمَا لِيَ لا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ . أَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِ آلِهَةً إِن يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلا يُنقِذُونِ . إِنِّي إِذًا لَّفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ . إِنِّي آمَنتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ . قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ . بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ ﴾[2].

قيل: والمشهور لدى المفسرين ومنهم قتاده وغيره أن الرسل هم رسل عيسى عليه السلام من الحواريين بعثهم إلى أهل أنطاكية وكان منهم ما قصه الله علينا فى كتابه.

---

(١) تفسير القرطبى جـ١ ص٣٧١ - ٣٨٤ النور الإسلامية.

(٢) سورة يس: الآيات من ١٣٠ - ٢٧.

ويرى ابن عباس واختاره كثير من جلة العلماء أن الرسل هم رسل الله أرسلهم ردءاً لعيسى عليه السلام مقررين لشريعته. كهارون لموسى عليه السلام.. ما علينا من جهة ربنا إلا التبليغ المعزز بالآيات البينات وقد فعلنا فأى شىء تطلبون منا حتى تصدقوا دعوانا؟ ولما ضاقت بهؤلاء المكذبين الحيل. وأعيتهم الحجج لجئوا إلى التهديد والوعيد... حتى جاء من أطراف المدينة رجل يعدو مسرعاً. لينصح قومه حين بلغه أنهم عقدو النية على قتل الرسل فتقدم للذب عنهم إبتغاء وجه الله ونيل ثوابه ... روى أن هذا الرجل يسمى حبيباً. وكان تجاراً... أبان لقومه أنه ما إختارلهم إلا ما إختاره لنفسه. فقال: ﴿ وَمَا لِيَ لا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾.. ثم أعاد التوبيخ مرة أخرى مبينا عظم حمقهم فقال: ﴿ أَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِ آلِهَةً إِن يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلا يُنقِذُونِ ﴾ .. ﴿ إِنِّي إِذًا لَّفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ ﴾ .. ثم إلتفت إلى الرسل وخاطبهم منيبا إلى ربه فقال: ﴿ إِنِّي آمَنتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ ﴾ أى إنى آمنت بربكم الذى أرسلكم فاشهدوا لى بذلك عنده.

روى أنه لما قال ذلك وثبوا عليه وثبة رجل واحد فقتلوه ولم يجد من يدافع عنه. قال قتادة: جعلوا يرجمونه بالحجارة وهو يقول: اللهم اهد قومى فإنهم لا يعلمون. فلم يزالوا به كذلك حتى فارق الحياة.

ثم ذكر مآل أمره وما قاله حين وجد النعيم والكرامة.. قال الله له: إدخل الجنة كفاء ما قدمت من عمل وأسلفت من إحسان. فلما دخلها وعاين ما أكرمه الله به لإيمانه وصبره قال: ليت قومى يعلمون بما أنا فيه من نعيم. وخير عميم لإيمانى بربى وتصديقى برسله وصبرى على أذى قومى[1].

---

(١) تفسير المراغى جـ٢٢ ص١٥٠ - ١٥٤.

وذكر ابن كثير: (عن ابن مسعود -رضى الله عنه- أنهم وطئوه بأرجلهم حتى خرج قصه من دبره. وقال الله له ادخل الجنة فدخلها فهو يرزق فيها قد أذهب الله عنه سقم الدنيا وحزنها ونصبها وقال مجاهد: قيل لحبيب النجار ادخل الجنة وذلك أنه قتل فوجبت له.

وروى أن عروه بن مسعود الثقفى -رضى الله عنه- قال النبى ﷺ إبعثنى إلى قومى أدعوهم إلى الإسلام فقال رسول الله ﷺ (إنى أخاف أن يقتلوك. فقال لو وجدونى نائما ما أيقظونى فقال له رسول الله ﷺ «إنطلق». فانطلق فمر على اللات والعزى فقال لأصبحنك غداً بما يسؤك فغضبت ثقيف فقال ما معشر ثقيف إن اللات لالات وإن العزى لاعزى أسلموا تسلموا يامعشر الأحلاف إن العزى لاعزى وإن اللات لالات أسلموا تسلموا قال ذلك ثلاث مرات فرماه رجل فأصاب أكحله فقتله فبلغ رسول الله ﷺ فقال «هذا مثله كمثل صاحب يس» (قال ياليت قومى يعلمون بما غفر لى ربى وجعلنى من المكرمين)[1].

ويخبر تعالى أنه انتقم من قومه بعد قتلهم إياه غضبا منه تبارك وتعالى عليه لأنهم كذبوا رسله وقتلوا وليه[2].

الخلاصة: لا يعدم الحق فى كل زمان أنصاراً له. وإن كانوا قلة. وكان أهل الباطل كثرة. فقد قيض الله مؤمناً من أهل القرية جاء يعدو مسرعاً لما سمع بخبر الرسل. وناقش قومه. ورغبهم وأرهبهم. ودعاهم إلى توحيد الله وإتباع الرسل. وترك عبادة الأصنام. فإن الرسل على حق وهدئ. لا يطلبون

(١) أخرجه الطبرانى فى المعجم الكبير ١٤٨/١٧ حديث رقم ٣٧٥، وقال الهيثمى فى مجمع الزوائد ١٣٨٦/٩ بإسناده حسن.
(٢) تفسير بن كثير جـ٣ ص٥٦٨ - ٥٦٩.

مالاً على تبليغ الرسالة. وهذا دليل إخلاصهم وعدم إتهامهم بمأرب دينوى. والخالق هو الأحق بالعبادة. وهو الذى إليه المرجع والمآب. فيحاسب الخلائق على ما قدموا من خير أو شر.

أما الأصنام فلا تجلب نفعاً ولا تدفع ضرراً. ولا تنقذ أحداً مما ألم به. من البلاء فمن عبدها بعدئذ فهو فى خسران ظاهر.

ثم صرح مؤمن القرية مخاطبا الرسل بأنه مؤمن بالله ربهم. فليشهدوا له بالإيمان. فكان جزاؤه المرتقب من القوم بسبب ثباته على عقيدته وتشدده فى إظهار الحق: القتل أو الموت. وأما جزاؤه من الله فهو التكريم فى جنان الخلد كما يجزى الشهداء والصالحين.

★ **الشهيد في اقوال كبار المسيحيين:**

- جاء فى كتاب تاريخ الكنيسة لدنيال رويس[1].

فيض من الكلام. حول معنى الشهادة والشهيد. ننقل منه بعض المقتطفات يقول: (إن مسيحى الإضطهاد هؤلاء. عندما يضحون بذواتهم. يسعون وراء هدف معين إنهم يعدون وجودهم لحقيقة تعطيه معناه. أنهم حرفيا شهود).

ويقول: (ففى سورة آلام القديس بو ليكارب مذكور: أن واحداً فقط من المسحيين الذين احتجزوا معه كان أمام النمورة وتبين أن بالذات كان قد تقدم بنفسه من القضاة وجرأ خرين سواه إلى الاقتداء به. لذلك فإنا لنوم الذين يسلمون أنفسهم إلى المحاكم تلك ليست روح الانجيل).

(١) تاريخ الكنيسة جـ٢ ص١٦٧ - ١٧١ لدنيال رويس. ترجمة الأستاذ نصرى ملهب رئيس الجمارك الأعلى فى لبنان.

ويقول: (إذن لا يجب السعى وراء المجد الباطل. حتى عبر التصحية الإثم بل يسعى وراء التضحية. عندما تريد العناية الإلهية أن تؤدى الشهادة. ويجب أن لا نهرب من هذا الواجب. بل نذهب فيه حتى النهاية تلك هى فلسفة البطولة فى نظر الشهداء فى حكمتها وعظمتها.. إلى أن يقول: (صحيح أن كل قضية إنسانية لها متعصوبها الذين يرتضون الموت من أجل إنتصارها.، لكن ليس بانتصار قضيتهم يفكر الشهداء بمعنى القضية السياسية. أو الفلسفية. بل الذى يتوقون إليه هو أعظم من نزعات هذا العالم. إنهم يحاربون من أجل ملكوت الله).

ثم يذكر (يقول بوسوية عن الشهداء: بأنهم الوحيدون من البالغين الذين يدخلون أولا إلى المجد. والوحيدون الذين لا نصلى من أجلهم بل على العكس نعدهم بين الشفعاء).

ثم يتابع (بقول يسوع: أعظم برهان على الحب هو أن يبذل الإنسان فى سبيل من يحب).

وجاء فى مادة «مارتير» أى الشهادة فى قاموس لاروس هى: تحمل الموت فى سبيل العقيدة. والمسيحيون الأوائل يطلقون لفظة شهيد على كل من تحمل العذاب فى بدنه. مدافعا عن عقيدته. وفى آخر القرن الحادى عشر جرت العادة يحفظ هذا اللقب أو هذا الوصف الذين ماتوا فى سبيل عقيدتهم.

ولولا بعض التفريعات فى النظرة المسيحية إلى الشهيد والشهادة كنظرتهم إلى أن الشهيد هو الذى يتعذب ليتكلم. وأن الشهيد هو الذى يقتدى بالمسيح. والذى يرتمى فى أحضان الموت ممثلاً بآلام المسيح. وأن الشهادة هى التفريعات. لكانت النظرة المسيحية إلى الشهيد والشهادة – كما هى منقولة من كتب كبار المسيحيين لا تختلف فى شىء مع النظرة الإسلامية.

المبحث الخامس
مراحل الإستشهاد والإذن بالقتال

★ **القرآن فى ميدان القتال ومشروعيته:**

فرض القتال على المؤمنين على أنه ضرورة ملزمة تقدر بقدر الضرورة فلا يراد القتال لذاته فما جاء الإذن بالقتال إلا لرد الإعتداء على الحرية الدينية، وما كان الدين الصحيح أن يأخذ طريقه إلى قلوب الناس إلا بالحرية الدينية ومنع الفتنة فى الدين.

ولذلك جاء النص بالقتال حتى تمنع الفتنة فى الدين وإيذاء المتدينين. ولذلك قال سبحانه وتعالى: ﴿ **وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ . وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِن قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ . فَإِنِ انتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ . وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ** ﴾[1].

ذكر الإمام الواحدى فى أسباب النزول: «عن ابن عباس «نزلت هذه الآيات فى صلح الحديبية وذلك أن رسول الله ﷺ لما صد عن البيت هو وأصحابه نحر الهدى بالحديبية ثم صالحه المشركون على أن يرجع عامه ثم يأتى القابل على أن يخلوا له مكة ثلاث أيام فيطوف بالبيت ويفعل ماشاء وصالحهم رسول الله ﷺ. فلما كان العام المقبل تجهز رسول الله ﷺ وأصحابه لعمرة القضاء وخافوا أن لا تفى لهم قريش بذلك وأن يصدوهم عن المسجد

(١) سورة البقرة: الآيات «١٩٠- ١٩٣».

الحرام ويقاتلوهم وكره أصحابه قتالهم فى الشهر الحرام فى الحرم فانزل الله تعالى: ﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ ﴾ يعنى قريش[١].

ويقول صاحب الظلال: «إنه القتال لله. لا لأى هدف آخر من الأهداف التى عرفتها البشرية فى حروبها الطويلة. القتال فى سبيل الله لا فى سبيل الأمجاد والإستعلاء فى الأرض. ولا فى سبيل المغانم والمكاسب.

ولا فى سبيل الأسواق والخامات، ولا فى سبيل تسويد طبقة على طبقة أو جنس على جنس .. إنما هو القتال لتلك الأهداف المحددة التى من أجلها شرع الجهاد فى الإسلام. القتال لإعلام كلمة الله فى الأرض. وإقرار منهجه فى الحياه وحماية المؤمنين به أن يفتنوا عن دينهم أو أن يجرفهم الضلال والفساد. وما عدا هذه فهى حرب غير مشروعة فى حكم الإسلام. وليس لمن يخوضها أجر عند الله ولا مقام»[٢].

لقد كان القتال قبل الهجرة محظوراً بآيات كثيرة منها: قوله تعالى: ﴿ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾[٣].

وقوله تعالى: ﴿ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾[٤].

وقوله تعالى: ﴿ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾[٥].

وقوله عزوجل: ﴿ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاغُ الْمُبِينُ ﴾[٦].

وقوله عز شأنه: ﴿ وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلاماً ﴾[٧].

---

(١) أسباب النزول للواحدى ص٣٧.
(٢) تفسير فى ظلال القرآن جـ١ ص١٨٧.
(٣) سورة فصلت: آية ٣٤.
(٤) المائدة: آية ١٣.
(٥) سورة النحل: آية ١٢٥.
(٦) سورة النحل: آية ٨٢.
(٧) سورة الفرقان: آية ٦٣.

وقوله تعالى: ﴿ لَسْتَ عَلَيْهِم بِمُسَيْطِرٍ ﴾[١].

وقوله تعالى: ﴿ وَمَا أَنتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ ﴾[٢].

وقوله تعالى: ﴿ قُل لِّلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ ﴾[٣].

فالآيات السابقة تبين أن الله سبحانه وتعالى أمر رسوله ﷺ بالدعوة إلى دين الحق والصبر على جهالة الكفار وترك الإنتقام، وترك الإلتفات إليهم. وإيثار العفو والصفح على العقاب والمحاربة والقتل والايذاء كما أمر ﷺ بلين الجانب ولطف الخطاب كما أمر به موسى وهارون عليهما السلام حين بعثهما إلى فرعون فى قوله تعالى: ﴿ فَقُولا لَهُ قَوْلاً لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾[٤].

يقول القرطبى فى قوله تعالى: ﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا ﴾ هذه الآية أول آية نزلت فى الأمر بالقتال. ولا خلاف فى أن القتال كان محظوراً قبل الهجرة...

وروى عن أبى بكر الصديق أن أول آية نزلت فى القتال. قوله تعالى: ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ . الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلاَّ أَن يَقُولُوا رَبُّنَا ﴾[٥].

والأول أكثر وأن آية الإذن إنما نزلت فى القتال عامة لمن قاتل ولمن يقاتل من المشركين[٦].

---

(١) سورة الغاشية: آية ٢٢.
(٢) سورة ق: آية ٤٥.
(٣) سورة الجاثية: آية ١٤.
(٤) سورة طه: آية ٤٤.
(٥) سورة الحج: آية ٣٩، ٤٠.
(٦) تفسير القرطبى جـ١ ص٦٧٤ط النور الإسلامية.

وقيل: فى قوله تعالى: ﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾ الآية.

إن الله سبحانه بعث نبيه ﷺ بالبيان والحجة، وأوعز إلى عباده على لسانه بالمعجزة والتذكرة وفسح لهم فى المهل، وأرخى لهم فى الطيل «هو حبل تشد به قائمة الدابة ويمسك طرفه وترسلها ترعى» ما شاء من المدة بما إقتضته المقادير التى أنفذها.

وإستمرت به الحكمة. والكفار يقابلونه بالجحود والإنكار. ويعتمدونه وأصحابه بالعداوة والإذاية. والبارى سبحانه يأمر نبيه عليه السلام وأصحابه باحتمال الأذى والصبر على المكروه. ويأمرهم بالإعراض تارة وبالعفو والصفح أخرى. حتى يأتى الله بأمره. إلى أن أذن الله تعالى لهم فى القتال.

فقيل: إنه أنزل على رسوله: ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا ﴾[1]. وهى أول أيه نزلت، وإن لم يكن أحد قاتل، ولكن معناه أذن للذين يعلمون أن الكفار يعتقدون قتالهم وقتلهم بأن يقاتلوهم على إختلاف القراءتين، ثم صار بعد ذلك فرضا، فقال تعالى: ﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ ﴾.

ثم أمر بقتال الكل، فقال: ﴿ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ ﴾[2].

وقيل إن هذه الآية أول آيه نزلت.

والصحيح ما رتبناه. لأن آية الإذن فى القتال مكية. وهذه الآية مدنية متأخرة[3].

---

(١) سورة الحج: اية ٣٩.

(٢) سورة التوبة: آية ٥.

(٣) أحكام القرآن لابن العربى جـ١ ص١٤٣ - ١٤٤.

هل آية ﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ ﴾ منسوخة.

وقال جماعة من العلماء: مفاد هذه الآية أنه يحل لكم القتال إن قاتلكم الكفار. ثم نسخت بقوله تعالى: ﴿ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً ﴾[1].

وقوله تعالى: ﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً ﴾[2].

وقوله تعالى: ﴿ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ ﴾[3].

وقوله تعالى: ﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾[4].

وهذه كلها تأمر بالقتال لجميع الكفار. وتدل على عموم شرع القتال للمشركين. سواء قاتلوا المسلمين أولم يقاتلوهم.

وقال ابن عباس وعمر بن عبد العزيز ومجاهد: الآية محكمة. أى قاتلوا الذين هم بحالة من يقاتلونكم، ولا تعتدوا فى قتل النساء الصبيان والرهبان وشبههم. قال أبو جعفر النحاس: وهذا أصح القولين فى السنة والنظر.

أما السنة فحديث ابن عمر الذى رواه الأئمة: أن رسول الله ﷺ رأى فى بعض مغازيه امرأة مقتولة. فكره ذلك. ونهى عن قتل النساء والصبيان»[5].

---

(١) سورة التوبة: آية ٣٦.

(٢) سورة التوبة: آية ١٢٣.

(٣) سورة التوبة: آية ٥.

(٤) سورة التوبة: آية ٢٩.

(٥) أخرجه أبو داود فى سننه كتاب الجهاد باب قتل النساء ٥٣/٣ حديث رقم ٢٦٦٨ عن ابن عمر. وأخرجه الترمذى فى سننه كتاب البر باب فى النهى عن قتل النساء والصبيان ٩٣٦/٤ حديث رقم ١٥٦٩ وصححه الترمذى.

وأما النظر: فإن «فاعل» لا يكون فى الغالب إلا من اثنين. كالمقاتلة والمشاتمة والمخاصمة. والقتال لا يكون فى النساء ولا فى الصبيان ومن أشبههم كالرهبان. والزمنى. والشيوخ والأجراء فلا يقتلون وبهذا أوصى أبو بكر الصديق -رضى الله عنه- يزيد بن أبى سفيان حين أرسله إلى الشام. فيما رواه مالك وغيره. إلا أن يكون لهؤلاء إذاية.

أما النساء: فإن قاتلن برأى أو تحريض على القتال أو إمداد بمال قتلن. فى حالة المقاتلة وبعدها فى برأى سحنون. لعموم قوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُم﴾ اللآية.

وقوله تعالى: ﴿وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾[1].

ولا تقتل المرأة التى لا تقاتل سواء فى أثناء المعركة، أو بعد الأسر والأخذ.

لما رواه الطبرانى عن ابن عباس عن النبى ﷺ قال: «ولا تقتلوا وليدا ولا إمرأة ولا شيخاً»[2].

وأما الصبيان: فلا يقتلون أيضا للنهى الثابت فى السنة عن قتل الذرية فقد ثبت أنه ﷺ نهى عن قتل النساء والصبيان.

---

(١) سورة البقرة: آية «١٩١».

(٢) أخرجه الطبرانى فى معجم الأوسط ٤٤٨/٤ حديث رقم ٤١٦٢ عن ابن عباس رضى الله عنه ط دار الحديث تحقيق أيمن صالح شعبان.

وقال فيما رواه أحمد وأصحاب السنن إلا الترمذى عن رباح بن ربيع: «ولا تقتلوا ذرية ولا عسيفا»[1] أى أجيرا ولأنه لا تكليف عليهم: فإن قاتل الصبى قتل.

وأما الرهبان: فلا يقتلون. بل يترك لهم ما يعيشون به من أموالهم. إذا انفردوا عن أهل الكفر، لقول أبى بكر ليزيد بن أبى سفيان فى وصيته المشهورة، فيما رواه مالك فى الموطأ: «وستجد قوما زعموا أنهم حبسوا أنفسهم لله فذرهم وما زعموا أنهم حبسوا أنفسهم له»[2].

وأما الزمنى «المرضى»: فالصحيح أن تعتبر أحوالهم، فإن كانت فيهم إذاية قتلوا. وإلا تركوا. وما هم بسبيله من الزمانة.

وأما الشيوخ: ففى رأى جمهور الفقهاء إن كان شيخاً كبيراً هرماً لا يطيق القتال، ولا ينتفع به فى رأى ولا مدافعة. فإنه لا يقتل. لقول أبى بكر ليزيد ولأنه ممن لا يقاتل ولا يعين العدو. فلا يجوز قتله كالمرأة وأما إن كان ممن تخشى مضرته بالحرب أو الرأى أو المال. فيخير فيه الإمام فى رأى المالكية إذا أسره على أداء الجزية، أو الإسترقاق «فى الماضى»، وكذلك أجاز الشافعى بعد الأسر قتل ما عدا النساء والصبيان.

---

(١) أخرجه أبو داود فى سننه كتاب الجهاد باب قتل النساء ٥٤/٣ ح ٢١٦٩ وأخرجه ابن ماجه فى سننه كتاب الجهاد باب الغارة والبيات وقتل النساء والصبيان ٩٤٨/٢ ح رقم ٢٨٤٢، وأخرجه أحمد فى مسنده ٤٨٨/٣ عن رباح عن ربيع.

(٢) أخرجه مالك فى الموطأ كتاب الجهاد باب النهى عن قتل النساء والوالدان فى الغزو ٣٥٨/٢ . ط دار الحديث - تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى.

وأما العسفاء وهم الأجراء والفلاحون: فلا يقتلون فى رأى مالك. للحديث السابق عن رياح بن ربيع: «الحق بخالد بن الوليد. فلا يقتلن ذرية ولا عسيفا».

وقال عمر بن الخطاب: اتقوا الله فى الذرية والفلاحين الذين لا ينصبون لكم الحرب. وكان عمر بن عبد العزيز لا يقتل حراثا».

وقال الشافعى: يقتل الفلاحون والأجراء والشيوخ الكبار، إلا أن يسلموا، أو يؤدوا الجزية.

وروى أشهب عن مالك أن المراد بقوله: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ﴾ الآية أن المراد ها هنا أهل المدينة، أمروا بقتال من قاتلهم.

وقال غيره: هو خطاب للجميع. وهو الأصح. أمر كل أحد أن يقاتل من قاتله، إذا يمكن سواه. ألا تراه كيف بينها تعالى فى سورة براءة بقوله: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ الْكُفَّارِ﴾[1].

وذلك لأن المقصود أو لا كان أهل مكة فتعينت البداية بهم وبكل من عرض دونهم أو عاونهم، فلما فتح الله تعالى مكة كان القتال لمن يلى ممن كان يؤذى. حتى تعم الدعوة وتبلغ الكلمة جميع الأفاق، ولا يبقى أحد من الكفرة وذلك متماد إلى يوم القيامة، ممتد إلى غاية هى قول النبى ﷺ: «الخيل معقود فى نواصيها الخير إلى يوم القيامة: الأجر والغنيمة»[2].

وذلك لبقاء القتال، وذلك لقوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ﴾[3].

---

(١) سورة التوبة: آية «١٢٣».

(٢) أخرجه البخارى فى صحيحه كتاب الجهاد باب الخيل معقود فى نواصيها الخير إلى يوم القيامة ٢/٢٢٤ ح رقم ٢٨٥٠.

(٣) سورة البقرة: آية «١٩٣».

وقيل: غايته نزول عيسى بن مريم عليه السلام: قال صلى الله عليه وسلم: «ينزل فيكم ابن مريم حكما مقسطا يكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية»[1].

وذلك موافق للحديث قبله، لأن نزول عيسى عليه السلام من أشراط الساعة، وسيقاتل الدجال ويأجوج ومأجوج، وهو آخر الأمر.

وقال جماعة من الفقهاء: إن الجهاد بعد فتح مكة ليس بفرض إلا أن يستنفر الإمام أحداً منهم، قاله: سفيان الثورى ومال إليه سحنون.

وظنه قوم بابن عمر حين رأوه مواظباً على الحج تاركا للجهاد. وقد قال النبى ﷺ: «لا هجرة بعد الفتح، ولكن جهاد ونية، وإذا إستنفرتم فانفروا»[2] ثبت ذلك عنه.

وهذا هو دليلنا. لأنه أخبر أن الجهاد باق بعد الفتح. وإنما رفع الفتح الهجرة، وذلك لقوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ يعنى كفراً ﴿وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ﴾.

ومواظبة ابن عمر -رضى الله عنه- على الحج لأنه اعتقد الحق. وهو أن الجهاد فرض على الكفاية إذا قام به بعض المسلمين سقط عن الباقين.

ويحتمل أن يكون رأى أنه لا يجاهد مع ولاة الجور.

---

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه كتاب البيوع باب قتل الخنزير ٢/٤١ ح رقم ٢٢٢ عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما.

(٢) أخرجه البخارى فى صحيحه كتاب الجهاد باب فضل الجهاد والسير ٢/٢٠٨ عن ابن عباس وأخرجه مسلم فى صحيحه كتاب الإمارة باب المبايعة بعد الفتح ٣/١٤٨٧ ح ١٣٥٣.

والأول أصح لأنه قد كان فى زمانه عدول وجائرون، وهو فى ذلك كله مؤثر للحج مواظب عليه[1].

وقال تعالى فى سورة النساء: ﴿ فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالآخِرَةِ وَمَن يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا . وَمَا لَكُمْ لا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا . الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا . أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَى وَلا تُظْلَمُونَ فَتِيلاً. أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِندِكَ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ فَمَالِ هَؤُلاءِ الْقَوْمِ لا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴾[2].

والآيات الكريمة السابقة فى الطريق الإسلامى العملى، توضح أشد الإيضاح، بأن الإذن للقتال بعد الاحتمال والصبر. كان لبدء تاريخ كفاح طويل. خلفه رأى عام مؤمن بعدالة الإذن للقتال للأسباب الآتية:

---

(١) تفسير القرطبى جـ١ ص٦٧٤ - ٦٧٦، أحكام القرآن جـ١ ص١٤٤ - ١٤٦ بتصرف.

(٢) سورة النساء: آيات من ٧٤: ٧٨.

- بعد ظلمهم وإخراجهم من ديارهم.
- للذين يشترون الحياة الدنيا بالآخرة.
- المسلم يقاتل فى سبيل الله كل من يقاتله فى سبيل الطاغوت.
- امتحان للمسلمين الذين يعتقدون بأن الإسلام لا يكلفهم غير الصلاة والصوم والزكاة فقط.
- ليبين لهم أن الرجل يموت فى ميدان القتال كموت الرجل على فراشه إذا جاءته منيته إيضاح الفرق بين الموتة الأولى والآخرة.

آيات كثيرة فى هذا الباب من أكثر الآيات جمعا لمعانى الإستشهاد. ومن أوضح الآيات لمشروعية القتال فى الإسلام. يرى المؤمن من ورائها الحياة الباقية للشهيد، إنها مرحلة جديدة بدأت فى حياة الرسالة. ومعانى الإستشهاد. بعد نزول آيات القتال، أنها مرحلة قتال شديدة تتبع مرحلة الصمود الطويلة التى مرت بالمسلمين، وتوضح العقد النبوى من مرحلة الدفاع التى أتت بعد مرحلة الصمود، لتخرج بالمسلمين إلى المعركة الحاسمة وردع العدو الذى غره من المسلمين نيل أخلاقهم فى مهادنتهم، وكانت هذه الآيات وغيرها من الأوامر الصارمة التى أثلجت صدور المؤمنين.

قال تعالى: ﴿ فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لا تُكَلَّفُ إِلاَّ نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلا ﴾[1].

★ أشرف العبادات فى الإسلام:

القتال فى سبيل الله عبادة من أشرف العبادات فى الإسلام، له أهداف وقواعد وأحكام يلتزم بها المسلم، ليكون فى شرف إستقبال الشهادة إن أذن الله

---

(١) سورة النساء: آية ٨٤.

له

ليس القتال فى نظر الإسلام دعوة إلى الحرب والقتال، ولا الذهاب إلى الموت وإستعراض للبراعة فى إستعمال الأسلحة ليعرف من هو الغالب والمغلوب فلقد أمر الله بعدم التعرض لمن سالم المومنين:

قال تعالى: ﴿ فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلا ﴾[1].

★ **الهدف من القتال:**

لقد حدد الدين الإسلامى من خلال دستوره الخالد الذى لا يأتيه الباطل من بين ولا من خلفه. والذى قال فى حفظه وإستمراره رب السموات والأرض: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾[2]. فالقران الكريم حدد الأهداف الآتية للقتال والإستشهاد فى سبيل الله. كما أوضح للمسلم أشد الإيضاح بأن الله إنما حفظ هذا الدين من ذاته وقوة حجته الواضحة، لأنه دين العقل والعدل والأخوة والرحمة، فإذا ألجأت الظروف المسلم على حمل السلاح، فإنما هو لأسباب وأهداف بينها على لسان النبى ﷺ فإذا عاد المجاهد من المعركة. أو دخل البلاد التى وضع فيها السلاح. عاد وهو متواضع لله، يعمل بأى عمل يسر له فيه الصالح لدينه وأمته قال تعالى:

﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ . الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلاَّ أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ

(١) سورة النساء: أية ٩٠.

(٢) سورة الحجر: آية ٩.

اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ . الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ ﴾[1].

قيل: «أنهم أذنوا فى القتال بسبب كونهم مظلومين وهم أصحاب رسول الله ﷺ كان مشركوا مكة يؤذونهم أذى شديداً وكانوا يأتون رسول الله ﷺ من بين مضروب ومشجوج يتظلمون إليه فيقول لهم اصبروا فإنى لم أومر بقتال حتى هاجر فأنزل الله تعالى هذه الآية. وهى أول آية أذن فيها بالقتال بعد ما نهى عنه نيف وسبعين آية.

وقيل: نزلت فى قوم خرجوا مهاجرين فاعترضهم مشركوا مكة فأذن فى مقاتلهم.

وقيل: «.. هذه الآية هى أول آية نزلت فى الجهاد كما قال به جماعات من العلماء وليس فيها من أحكام الجهاد إلامجرد الإذن لهم فيه ولكن قد جاءت آيات أخر دالة على أحكام أخر زائدة على مطلق الإذن فهى مبينة عدم الإقتصار على الإذن كما هو ظاهر هذه الآية.

وقد قالت جماعة من أهل العلم: إن الله تبارك وتعالى لعظم حكمته فى التشريع. إذا أراد أن يشرع امراً شاقاً على النفوس كان تشريعه على سبيل التدريج، لأن إلزامه بغتة فى وقت واحد من غير تدريج فيه مشقة عظيمة، على الذين كلفوا به قالوا فمن ذلك الجهاد، فإنه أمر شاق على النفوس لما فيه من تعريضها لأسباب الموت. لأن القتال مع العدو الكافر القوى من أعظم أسباب الموت عادة، ولما كان الجهاد فيه هذا من المشقة. أو أراد الله تشريعة

(١) سورة الحج: الآيات ٣٩: ٤١.

شرعه تدريجا. فأذن فيه أولا من غير إيجاب بقوله: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا﴾ الأية.

ثم لما استأنست به نفوسهم بسبب الإذن فيه. أوجب عليهم قتال من قاتلهم دون من لم يقاتلهم بقوله: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ﴾[1]. وهذا تدريج من الإذن إلى نوع خاص من الإيجاب.

ثم لما أستأنست نفوسهم بإيجابه، فى الجملة أوجبه عليهم إيجاباً عاماً جازماً فى آيات من كتابه كقوله تعالى: ﴿فَإِذَا انسَلَخَ الأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ﴾[2].

وأعلم: أن لبعض أهل العلم فى بعض الآيات التى ذكرنا أوقوالاً غير ماذكرنا، ولكن هذا التدريج الذى ذكرنا دل عليه إستقراء القرآن فى تشريع الأحكام الشاقة»[3].

وفى قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ أنه تعالى لما بين أنهم إنما أذنوا فى القتال لأجل أنهم ظلموا فبين ذلك الظلم بقوله: ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلاَّ أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ﴾ فبين تعالى ظلمهم لهم بهذين الوجهين:

أحدهما: أنهم أخرجوا من ديارهم.

الثانى: أنهم أخرجوهم بسبب أنهم قالوا: ﴿رَبُّنَا اللَّهُ﴾.

---

(١) سورة البقرة: آية «١٩٠».

(٢) سورة التوبة: آية «٥».

(٣) تفسير أضواء البيان للشنقيطى جـ٣ ص٥١٤.

ثم بين سبحانه بقوله: ﴿وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ﴾ أن عادته جل جلاله أن يحفظ دينه بهذا الأمر[1].

لقد تضمنت آيات سورة الحج المذكورة آنفا الأسباب والأعراض التى إقتضت تشريع الجهاد.

١- تأمين دعوة الإسلام. الدين العام الخالد، والذى إرتضاه الله للبشرية جمعاء ومساندة هذه الدعوة التحريرية الكبرى. حتى يتمكن النبى عن تبليغ رسالة ربه حسبما صدع به الوحى فى قوله:

﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾[2].

وقوله: ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ﴾[3].

وليس من الحق والعدل أن يدافع أصحاب المذاهب الباطلة عن باطلهم بالقوة وأن يترك أصحاب العقائد الصحيحة والشريعة السمحة من غير أن يؤذن لهم فى الدفاع عن عقيدتهم ودينهم، وقد أشار الله إلى الله ذلك يقول: ﴿بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا﴾. وأى ظلم أظلم من أن لا يجد الهداة والمصلحون متنفسا لدعواتهم فى أرض الله الواسعة؟ ومن أن يحجر عليهم فلا يستطيعون الإعلان عن عقائدهم، ولا إظهار شعائرهم؟ المظلوم إن لم يجد النصر من أهل الأرض فسيجدة لا محالة من السماء، وصدق الله: «أن الله على نصرهم لقدير».

---

(١) تفسير الرازى جـ٢٣ ص٣٩.

(٢) سورة المائدة: آية «٦٧».

(٣) سورة الأنعام: آية «١٩».

٢- الإنتصاف للمظلوم من الظالم. والإنتصار للنفس، فهاهم المشركون قدآ ذوا المسلمين. وحاولوا ما وسعهم الجهد أن يفتنوهم عن دينهم فلما لم يفلحوا أخرجوهم من ديارهم وأهليهم وأموالهم. والإنتصار للنفس أمر فطرى، وحق من حقوق الإنسان قررته الشرائع السماوية والقوانيين الأرضية، وقد قرر الله هذه الحقيقة الإنسانية فى قوله سبحانه. ﴿ **وَلَمَنِ انتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ . إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** ﴾[1].

٣- إن فى تشريع الجهاد نشر للسلام والأمان فى الأرض. وتأمين كل ذى دين على دينه. وإحترام مقدسات الأديان فى الأرض، والإسلام هو الدين الذى ألزم معتنقيه بالإيمان بجميع رسل الله. وجميع كتبه المنزلة من عنده.

قال تعالى: ﴿ **آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ** ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿ **وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ** ﴾[3].

وأذا كان اعتبر القرآن هو الشاهد والمهيمن على الكتب السماوية كلها، فأنه هو الكتاب الذى سلم من التحريف والتبديل، لأنه نقل بأقوى طرق النقل والإثبات وهو التواتر المفيد للقطع واليقين.

---

(١) سورة الشورى: الآيتان ٤١، ٤٢.

(٢) سورة البقرة: آية ٢٨٥.

(٣) سورة البقرة: آية ١٧٧.

فالمسلمون حينما تكون لهم السلطة والغلبة فى الأرض فلا خشية على أهل الأديان الأخرى منهم، لأن لهم من وصايا دينهم ما يعصمهم من الظلم والجور والتعنت. ولا كذلك الحال لو ساد غيرهم وهذا ما صدقه الواقع والتاريخ الصادق، فحينما كان السلطان للمسلمين فى الأرض لم يضار أحد من أهل الذمة فى دينه. ولا فى دينه، ولا فى نفس ولا عرض ولا مال، فلما ذهبت ريحهم، وغلبوا على أمرهم. ذاقوا من أعدائهم ألوان العذاب من تقتيل وتخريب وإنتهاك للحرمات.

وليس أدل على ذلك من إن الإسلام قبل من أهل الكتاب إما أن يسلموا، وإما أن يبقوا على دينهم ويدفعوا الجزية، وهى ليست للإكراه على الدخول فى الإسلام أو المضايقة، ولكنها نظير ما تقوم به الدوله الإسلامية من رعاية وحماية لأهل الأديان الأخرى، وما تؤديه لهم من خدمات إجتماعية وإقتصادية، وقد أشار الله سبحانه وتعالى إلى هذا الفرض النبيل فى قوله سبحانه: ﴿ **وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ** ﴾[1].

٤- إن الإسلام بما خصه الله به من عموم الدعوة للناس أجمعين،وبما جاء به من عقائد وتشريعات وآداب أكسبته الصلاحية لكل زمان ومكان، وهو الحقيقة بأن يسود فى الأرض، والمسلمون المتمسكون به هم الأحق بالسيادة والإستخلاف فى الأرض. لأنهم هم الذين ينشرون فيها الهدى والحق والعدل والرحمة والبروالخير. وهم يأمرون بالمعروف ويتناهون عن المنكر.

---

(١) سورة الحج: آية ٤٠.

وهما أساس كل خير وإصلاح، وليس من شك فى أن هذا يتطلب الجهاد والكفاح وبذل النفس والمال فى سبيل هذه الغاية الشريفة.

وقد أشار الله إلى هذا فى قوله: ﴿الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾[1].

وقد أشار الله سبحانه بهذه الأصول إلى ما عداها. فالصلاة رأس العبادات البدنية التى تزكى النفس وتحسن علاقة المخلوق بالخالق. والأنسان بأخيه الإنسان. والزكاة رأس العبادات المالية التى تقيم المجتمع على أساس من التعاون والتكامل، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر أساس كل خير دينى أو دنيوى، وهما دعا متاكل إصلاح، ودرء كل وفساد فى الأض»[2].

فالرسلام من قبل ومن بعد حدد الأهداف الآتية للقتال والإستشهاد:

- لإعلاء كلمة الله ونشر العدالة الإجتماعية فى الأرض وتأمين الدعوة.
- لرد الإعتداء الواقع على المسلمين.
- لئلا تكون فتنة يقتل فيها الأبرياء المستضعفون فيخرج الناس من ديارهم بالإكراه وهم يقولون «ربنا الله».
- يرفع الأذى عن المؤمنين المستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقاسون ظلم الطغاه وبغيهم.

★ **الجيش الإسلامى:**

كان جيش رسول الله ﷺ أول صانع للرأى الحربى والمثالية فى ميدان القتال، وما كان - حاشا الله - مجموعة من المعتدين المغامرين الذين

(١) سورة الحج: آية ٤١.

(٢) السيرة النبوية للدكتور/ محمد أبو شهبة جـ١ ص٧٦ - ٧٩.

يتحسسون مواطن الضعف فى صفوف الأمم الأخرى. لأجل الطمع فيخلقون أو يختلقون الخصومات، ويفتعلون أسباب الحرب ليفرضوا سُيوفهم على عباد الله الآمنين. كما هو حادثالآن على أرض الإسلام، ولا كان فى يوم من الأيام فوضويا أو مرتزقا، وما كان من شأن أصحاب محمد أن يكونوا من الأفاقين وقطاع الطرق ولا من هواة القتال لمطلب المغانم ولا كانوا فى دائرة الهدف الذى تعول من جاهد فإما بجاهد ليسعد نفسه وأهله وعشرته ومن غنم غنم لنفسه لكنهم كانوا من الرسالة والعقيدة فى دائرة الأهداف التى حددتها السماء لهم فى حدود الإيمان والرحمة فى نيل الهدف فى حدود قانون القتال، فى حدود الأهداف السامية التى هى معطيات الحرب وما بعد الحرب.

فكان النبى ﷺ ينهى عن الإندفاع فى القتال، والمسارعة إليه. فكان عليه الصلاة والسلام يقول: «لا تتمنوا لقاء العدو، وإذا لقيتموهم فاصبروا»[1].

ومع ذلك إذا كان القتال أمرا لابد منه فلابد قبله من أن يخيرهم القائد بين أمود ثلاثة: أما الإسلام ليكونوا مع المسلمين بقوبلهم، واما العهد ليأمن المسلمون جوارهم، واما القتال، وأن ذلك التخيير لكيلا يأخذهم المسلمون على غرة وقد قرر الإسلام أن ذلك التخيير حق للمخالفين.

يروى فى ذلك أن قتيبة بن مسلم القائد العربى فتح بعض أقاليم سمر قند من غير أن يخيرهم ذلك التخيير. فشكا أهل هذا الإقليم لعمر بن عبد العزيز الحاكم العادل الذى نهج منهج الراشدين عمل قتيبة، ليقرروا مصيرهم. فأرسل

(١) أخرجه مسلم فى صحيحه كتاب الجهاد -باب كراهية تمنى لقاء العدو والأمر بالصبر عند اللقاء ٣/١٣٦٢ - ١٣٦٣ ح رقم ١٧٤٢. وأخرجه أبو داود فى سننه كتاب الجهاد - باب كراهية تمنى لقاء العدو ٣/٤٢ ح٢٦٣١.

الخليفة إلى العاصى ليسمع إلى هذه الشكوى. ويحققها فتبين له صدقها فأصدر أمره إلى جند المسلمين بأن يخرجوا من البلد الذى فتحوه، ويعودو إلى اتكناتهم ويخيروهم من بعد بين القتال والاسلام والعهد، فاختاروا العهد»[1].

ومنهم من اختار الإسلام.

ولقد كان النبى ﷺ حريصا على أن يعلن الرحمة حتى فى ميدان القتال، وأن يعلن الوحدة الإنسانية والسيوف مرهفة للضرب. فقد كان النبى ﷺ يقول فى دعائه عند إبتداء الحرب: «اللهم أنا عبادك وهم عبادك نواصينا ونواصيهم بيدك، اللهم أهزمهم وإنصرنا عليهم»[2].

دعاء تتمثل فيه الوحدة الإنسانية وهذا يشعر أن القتال للرحمة بهذه الإنسانية وليس للسيطرة على الأمم والشعوب ونهب ثرواتها وإستعباد أهلها.

وكانت وصيته عليه الصلاة والسلام للقائد الذى يرسل على رأس جند ما أوصى به معاذ بن جبل وعلى بن أبى طالب فقد جاء فى هذه الوصية: «ولا تقاتلوهم حتى تدعوهم. فإن أبوا فلا تقاتلوهم، حتى يبدءوكم. فإن بدءوكم فلا تقاتلوهم حتى يقتلوا منكم قتيلا، ثم أروهم ذلك وقولوالهم ، هل إلى خير من هذا سبيل، فلأن يهدى الله بك رجلا واحداً خيراً مما طلعت عليه الشمس وغربت»[3].

(١) التاريخ الكامل لإبن الأثير فى أخبار عمر بن عبد العزيز.

(٢) أخرجه البخارى فى صحيحه كتاب الجهاد باب دعاء النبى . إذا لم يقاتل أول النهار آخر القتال حتى نزول الشمس ٢/٢٥١ ح رقم ٢٩٦٥.

(٣) وأخرجه أبو داود فى سننه كتاب الجهاد باب دعاء المشركين ٣/٣٧ – ٣٨ عن بريدة -رضى الله عنه-.

وهنا نجد أن نيه السلم قائمة، حتى عندما يتلاقى الجيشان، لمن يدعى إن الإسلام قام على السيف وإنتشر بالقوة، إنه إدعاء باطل خبيث، لأن الأصل فى العلاقات بين المسلمين وغيرهم هو السلم، فالهدف من القتال هو رد إعتداء على المسلمين والتمكين للدعوة الإسلامية التى هى فى عنق المسلمين اذ أن عليهم أن يدعوا إلى الإسلام حتى تستمر كلمة الله هى العليا.

قال تعالى: ﴿ إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[1].

كما أن الدعوة إلى السلم فى القرآن الكريم مطلقة غير مقيدة بينما إباحة القتال نجدها فى كل نصوص القرآن مقيدة بأنها من مقابلة الإعتداء بمثله، فالله سبحانه وتعالى يدعوا إلى السلام فيقول: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾[2].

ويقول سبحانه وتعالى: ﴿ وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ . وَإِن يُرِيدُوا أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ . وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[3].

(١) سور التوبة: آية «٤٠».

(٢) سورة البقرة: آية «٢٠٨».

(٣) سورة الأنفال: الآيات «٦١: ٦٣».

ويقول سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَىٰ إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِندَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ﴾[1]. ويقول سبحانه: ﴿ فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا ﴾[2].

فهذه النصوص كلها تدعو إلى السلام، دعوة مطلقة غير مقيدة، وهى تدل على أن كل من يلتزم السلم لا يقاتل، ولو كان ينتمى إلى قبائل تقاتل النبى ﷺ والنص الأخير سيق فى هذا المعنى. اذ أنه ورد فى الذين حصرت صدورهم أن يقاتلوا النبى ﷺ أو يقاتلوا قومهم فاختاروا اعتزال الحرب. فليبقوا على حيادهم.

ولذلك قال سبحانه وتعالى: بعد ذلك: ﴿ سَتَجِدُونَ آخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ كُلَّ مَا رُدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكِسُوا فِيهَا فَإِن لَّمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ وَيَكُفُّوا أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأُولَٰئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُّبِينًا ﴾[3].

وأنه بتتبع أخبار النبى ﷺ فى كتب السيرة وغيرها - نجده كان لايقاتل إلا فى إحدى حالين:

إحداهما: اعتداء على المسلمين. أو توقع لهذا الاعتداء، إذ نتبين أن العدو يأخذ الأهبة لينقضوا على الجماعة الإسلامية، وما كان للنبى ﷺ وهو القائد الحكيم أن ينتظر حتى يضربوا جماعته.

(١) سورة النساء: اية ٩٤.
(٢) سورة النساء: آية ٩٠.
(٣) سورة النساء: آية ٩١.

الثانية: أن يقف الملوك محاجزين بينه وبين الدعوة الإسلامية، ثم يفتنون المسلمين عن دينهم كما حدث من ملك الرومان.

فقد كان النبى ﷺ يدعو جنده إلى التأنى وتأليف القلوب.

يقول عليه الصلاة والسلام فى ذلك: «تألفوا الناس وتأنوا بهم، ولا تغيروا عليهم حتى تدعوهم فما على الأرض من أهل مدر أو وبر إلا أن تأتونى بهم مسلمين أحب إلى من أن تأتونى بأبنائهم ونسائهم وتقتلوا رجالهم»[1].

فجيش رسول الله ﷺ إذا ألجأته الظروف للحرب والقتال ومن بعده الخلفاء الراشدين - رضوان الله عليهم - أجمعين وكانت حرب رفيقة تتسم بالتأليف لا بالتقتيل وبالمحافظة على الأنفس لا باستباحتها. فقد كانت وصايا الرسول ﷺ، فى هذه الدائرة التى تجعل الحرب رفيقة غير مخربة وجاء الراشدون فاتبعوا هديه عليه الصلاة والسلام.

ولقد جاء فى مبسوط السرخسى[2] وصايا عشر رواها عن أبى بكر -رضى الله عنه- وروى الإمام احمد فى مسنده هذه الوصايا بروايه الإمام احمد فقد جاء فى المسند ما نصه: «عن يحيى بن سعيد أن أبا بكر بعث الجيوش إلى الشام وبعث يزيد بن أبى سفيان أميرا، وكان يمشى، ويزيد راكب فقال يزيد اما أن تركب، واما أن أنزل فقال الصديق: ما أنا براكب، وما أنت بنازل، أنى أحتسب خطاى فى سبيل الله».

«أنك ستجد قوما زعموا أنهم حبسوا أنفسهم فى الصوامع للعبادة فدعهم وما زعموا، وستجد قوماً قد فحصوا أوساط رءوسهم من الشعر وتركوا منها

(١) أولاده ابن حجر فى المطالب العالية برقم ١٩٦٢ - ١٩٦٣ وعلاء الدين الهندى فى كنز العمال فى سنن الأقوال والأفعال برقم ١١٣٠٠.
(٢) المبسوط للسرخسى ص١٠.

امثال العصائب فاضربوا ما قعصوا بالسيف، وانى موصيك بعشر لا تقتلن امرأة ولا صبيا ، ولا كبير هرما، ولا تقطع شجرا مثمراً، ولا نخلاً، ولا تحرقها ولا تخربن عامراً ولا تعقرن شاة ولا بقرة إلا لمأكله ولا تجبن ولا تغل.

هذه وصايا تبين ما يحل فى القتال وما لا يحل.

فأول ما نهى عنه الصديق قتل رجل الدين حبسوا أنفسهم فى الصوامع، وبذلك أبعد المعابد والرهبان عن موضع السيوف: أو بالأحرى أبعدها عنهم ولكن بعض رجال الدين من الرومان كان يشتركون فى القتال فعلا، وكانوا يحرضون على المؤمنين، وهم الذين كانوا متحكمين فى رقاب أهل الشام. فهم يقتلون لأنهم مقاتلون لالأنهم من رجال الدين.

وقد نهى النبى ﷺ وأبو بكر من بعده عن قتل النساء والصغار، ولام سيدنا الرسول من قتل امرأة، اذ قد رأى جثتها فى المعركة، فلام قاتليها، وقال: ما كانت هذه لتقاتل.

وقال عليه الصلاة والسلام: «ما بال أقوام تجاوز بهم القتل حتى قتلوا الذرية ألا تقتلوا الذرية»[1]. وكررها ثلاثا.

وهكذا نجد النبى ﷺ: ينهى عن قتل من لا يقاتل، ويهتدى بهديه الصديق -رضى الله عنه- فلا يقتل الا من يكون فى الميدان عاملاً فى القتال ببدنه أو برأيه، ومن لا يقاتل لا يقتل، فلا يقتل الآمنون فى ديارهم ولا تسلط عليهم الآلات القاتلة التى تنزل فى موضع البرء والسقم.

---

(١) أخرجه الإمام أحمد فى مسنده م/٤٣٥، ٤/ ٢٤ وقال الهيثمى فى مجمع الزوائد بعض أسانيد أحمد رجاله ثقات - مجمع ٥/ ٣١٦ وأخرجه الطبرانى فى المعجم الكبير ١/ ٢٨٤ حديث رقم ٨٢٩.

ولو طبقنا الأحكام الإسلامية فى هذا الزمان لوجب تحريم كل الأدوات التى تنزل بالشعوب، ولا تختص بأماكن القتال والإعداد له، بل تنزل أذاها على مواضع البرء وتتجافى مواضع السقم، وينال أذى الحرب الشعوب المنكوبة بحكامها وأعدائها على السواء، كما هو حادث الآن.

★ **كما نهى الإسلام عن التخريب:**

جاء فى وصية أبو بكر الصديق -رضى الله عنه- النهى عن تخريب العامر، وقطع الشجر المثمر، وقطع النخل وما كان الصديق لينهى ذلك النهى الاعن هدى أخذه عن النبى ﷺ وخصوصاً أن الصحابة أقروه على ذلك ولم يكن من بينهم من أنكر عليه قوله، أو خالف رأيه.

ولكن مع ذلك اختلف الفقهاء فى جواز قطع الأشجار، ولنذكر ذلك الخلاف فى إيجاز، قال تعالى: ﴿ مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَىٰ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ ﴾[1].

قال ابن العربى: «اختلف الناس فى تخريب دار العدو وحرقها وقطع ثمارها على قولين:

الأول: أن ذلك جائز قاله فى المدونة.

الثانى: إن علم المسلمون أن ذلك لهم لم يفعلوا، وإن يئسوا فعلوا قاله مالك فى الواضحة وعليه تناظر الشافعية والصحيح الأول.

---

(١) سورة الحشر: آية «٥».

وقد علم رسول الله ﷺ أن نخل بنى النضير له ولكنه قطع وحرق ليكون ذلك نكاية لهم ووهنا فيهم، حتى يخرجوا عنها، فإتلاف بعض المال لصلاح باقيه مصلحة جائزة شرعاً مقصودة عقلا»[1].

والخلاصة: أن الذى يراجع مصادر الشريعة ومواردها ينتهى إلى ترجيح الرأى القائل: أن قطع أصول الأشجار وتخريب العامر من الديار لا يجوز إلا لضرورة حربية لا للإتلاف وكيد العدو. وشفاء غيظ المهاجمين.

★ مراعاة الفضيلة اثناء الحرب:

أن الفضيلة تحكم المسلمين ولو كانت الحرب قائمة. فاذا كان الله تعالى قد أمر بالقتال العدو بالمثل فقد قيد ذلك بالفضيلة، فقد قال تعالى: ﴿ **فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ** ﴾[2].

قيل: «واتقوا الله» فى حال كونكم منتصرين ممن اعتدى عليكم فلا تعتدوا إلى ما يحل لكم»[3].

يبين الله تعالى فى هذه الآية حكماً دائماً. وسنة مستقرة: وهو أن العدوان يقابل بمثله. وما كان على سبيل القصاص والمعاملة بالمثل، فهو مأذون فيه، ولكن مقابلة العدوان مقيدة بمبادىء الفضيلة والتقوى والمدنية والإنسانية، فاتقوا الله ولا تظلموا، واحذروا أن تعتدوا.

(١) أحكام القرآن لابن العربى جـ٤ ص٢٠٩ - ٢١٠.
(٢) سورة البقرة: آية «١٩٤».
(٣) تفسير النسفى جـ١ ص٩٩.

والتزموا حدود العدل ودفع الضرر وإحقاق الحق والبقاء على ما ينفع الناس، والترفع عن الإنتصار للأهواء والشهوات وحظوظ النفس التى قد تتمادى فى الغى والحقد والتهور والطيش.

فتقوى الله تعالى هى الفضيلة، فمن دفع الإعتداء بالمثل يجب ملاحظة الفضيلة فلا تنهك حرماتها ولو انتهكها العدو، فاذا كان العدو منطلق من كل القيود الخلقية والإنسانية لا تنطلق، فاذا كان العدو يعتدى على الأعراض لا نهتدى، وإذا كان العدو يجيع الأسرى لا نجيعهم. وإذا كان يقتلهم لا نقتلهم.

كذلك كان قتال النبى ﷺ وقتال الخلفاء الراشدين، وقتال كثيرين من قواد المسلمين، ولعل من أوضح المثل فى ذلك عمل صلاح الدين الأيوبى مع الأسرى فقد أسر أسرى كثيرين عند إسترداد بيت المقدس، حتى أحس بأنه لا يستطيع اطعامهم، فرأى أن يطلق سراحهم بدل أن يميتهم جوعاً، ولو كان بغير ارادته ولكنهم تجمعوا عليه وقاتلوه، وما ندم القائد المسلم، لأنه يرضى أن يقاتلهم فى الميدان من أن يقتلهم عطشا وجوعاً، وقد نهى النبى ﷺ عن ذلك وفى مقابل ذلك العمل أعطى ريكارد قائد الجيش الفرنجى ثلاثة آلاف مسلم عهداً على ألا يقتلهم إذا إستسلموا فاستسلموا على ذلك العهد. ولكن القائد الغادر قتلهم فور إستسلامهم.

ومما جاء فى كتاب «حضارة العرب»[1] لجو ستاف لويون، وهو فرنسى مسيحى - «كان أول ما بدأ به ريكاردوس الإنجليزى أنه قتل أمام معسكر المسلمين، ثلاثة آلاف أسير سلموا أنفسهم إليه بعد أن قطع على نفسه العهد،

(١) كتاب الشريعة الإسلامية والقانون الدولى العام للأستاذ على على منصور.

بحقن دمائهم، ثم أطلق لنفسه العنان باقتراف القتل والسلب، مما أثار صلاح الدين الأيوبى النبيل، والذى رحم نصارى القدس فلم يمسهم بأذى والذى أمد فيليب وقلب الأسد بالمرطبات والأدوية والأزواد أثناء مرضهما.

كذلك كتب كاتب مسيحى أخر «إسمه يورجا» يقول:

إبتدأ الصليبون سيرهم على بيت المقدس بأسوأ طالع، فكان فريق من الحجاج يسفكون الدماء فى القصور التى إستولوا عليها، وقد أسرفوا فى القوة فكانوا يبقرون البطون، ويبحثون عن الدنانير فى الأمعاء، أما صلاح الدين فلما إسترد بين المقدس بذل الأمان للصليبين، ووفى لهم بجميع عهوده، وجاد المسلمون على أعدائهم ووطأوهم مهاد رأفتهم حتى أن الملك العادل شقيق السلطان، أطلق ألف رقيق من الأسرى ومن على جميع الأرمن، وأذن للبطريك بحمل الصليب وزينة الكنيسة، وأبيح للأميرات والملكة بزيارة أزواجهن»[1].

وقد يقول قائل ان هذه بلا ريب صورة سامية لقيادة الجيوش قررها الإسلام، ولكنا نجد من بعض قواد المسلمين من قاموا بأعمال المتوحشين من قادة الأمم فى هذا الزمان، نرد على ذلك بأن المبادىء السليمة لا يعيبها أن بعض الناس لا يأخذون بها، فالمقررات فى الكتاب والسنة لا يعيبها عصيان قواد لها، إنما العيب فيمن عصاها.

وأن انحراف هؤلاء القواد المشار إليهم عن فضيلة الإسلام فى الحروب سببه.

أولا: انحرافهم عن مبادىء الدين وعدم إطاعتهم لأوامره.

(١) فى ظلال القرآن جـ٣ ص١٦٢٩ - ١٦٣٠.

وثانيا: أنهم رأوا ما كان يفعله قواد الأعداء من إنتهاء المحرمات وإرهاق المسلمين ومعاملتهم أسوأ معاملة، فكانت أخبار المنكوبين تشقق قلوب المسلمين، فاندفع قوادهم إلى بعض المحاكاة دون كلها.

وثالثا: أن بعض أولئك القواد كانوا ينتمون إلى أمم إشتهرت بالغلظة كالمفول والتركمان، فلما أسلموا وحاربوا فى ظل الإسلام غلبت عليهم طبائعهم، ولم يكونوا قد عرفوا سماحة الإسلام: وأشربوا مبادئه.

ومثل التمسك بالفضيلة. احترام الكرامة الإنسانية فى أثناء الحرب والسيوف متشابكة، فنهى النبى ﷺ عن المنكر وأمر بدفن القتلى من المشركين، ولقد نهى ﷺ أن يضرب المقاتل فى الوجه كيلا يشوه جسمه بالقتل الا إذا لم يكن من ذلك بد.

ونهى عليه الصلاة والسلام، عن تعزيب الجرحى أو الإجهاز عليهم، وذلك كله لاحترام الكرامة الإنسانية، ولأن القتال فى الإسلام ليس المقصود منه الإنتقام، وإنما المقصود منه إضعاف شوكة المسيطرين على الشعوب وإزالة سيطرتهم وتحكمهم.

وصدق الله العظيم حين يقول: ﴿ لا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلاًّ وَلا ذِمَّةً وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ ﴾[1].

(١) سورة التوبة: آية «١٠».

المبحث السادس
شروط المقاتل والشهيد

لقد وضع الرسول ﷺ فى غزوة بدر وأحد وغيرهما قانونا للإستشهاد وقانونا للأحياء بعد المعركة حتى صارت فى النهاية قوانين الجيوش الإسلامية من دروس المعارك العلمية، درس بعد درس حتى يدرب الجيش على الطاعة، ونبل الهدف وحب الفضيلة فى السلم والحرب، فكان أشرف جيش عرفته الدنيا هدفا ونزاهة وصبراً وشجاعة وعزيمة لا ترهبه كثرة الأعداء قال تعالى: ﴿ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُوا اللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾[1].

كما أن النبى ﷺ القائد حدد الإطار الواضح للشهيد والجندى إستكمله بحدوده الآتية:

«أن يقتل صابراً محتسبا مقبلا غير مدبر، كما وضع حدود القائد فى المعركة حتى تكون الثقة المتبادلة بين القيادة الجندية، مربوطة بالطاعة والإعداد والشجاعة والجهاد بالمال والنفس، لنلتقى بعد ذلك مواد القوانين التى إستأنس بها قضاة القوانين بعد.

قال تعالى: ﴿ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ ﴾[2].

وحتى تكون هذه القوانين سياجا تحوط السيوف المؤمنة التى تحركها النفوس الطاهرة لابد من:

---

(١) سورة البقرة: آية «٢٤٩».
(٢) سورة الأنفال: آية «١٦».

١- الطاعة للقيادة:

قال تعالى: ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾[3].

قيل فى قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ ﴾ يعنى أجيبوهما بالطاعة والإنقياد لأمرهما إذا دعاكم يعنى الرسول ﷺ وإنما وحد الضمير فى قوله إذا دعاكم لان إستجابة الرسول ﷺ إستجابة لله تعالى. وإنما يذكر أحدهما مع الآخر للتوكيد: ﴿ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ أى لما فيه حياتكم، قال السدى هو الايمان لأن الكافر ميت فيحيا بالإيمان، وقال قتادة هو القرآن لأنه حياة القلوب وفيه النجاة والعصمة فى الدارين وقال مجاهد هو الحق وقال محمد بن إسحاق هو الجهاد لأن الله أعز به بعد الذل وقيل هو الشهادة لأن الشهداء أحياء عند ربهم يرزقون»[4].

تبين الآيات السابقة من العبر والعظات الكثير، بالإضافة إلى الأحكام الأساسية فى الإسلام نذكر منها:

---

(١) سورة المائدة: آية «٩٢».
(٢) سورة الأنفال: آية «٢٠».
(٣) سورة الأنفال: آية «٢٤».
(٤) تفسير الفتوحات الإلهية جـ٢ ص٢٣٧.

وجود إجابة دعوة الله والرسول وإطاعتهما تأكيداً لما سبق، لما فيه الخير والصلاح والحياة الطيبة الدائمة السعيدة فى الدنيا والآخرة وسبيل ذلك الإيمان والإسلام والقرآن والجهاد فى سبيل الله.

ذكر الحافظ ابن كثير والبخارى عن أبى سعيد بن المعلى -رضى الله عنه- قال: كنت أصلى فى المسجد فمر بى النبى ﷺ فدعانى فلم أجبه، ثم أتيته فقلت: يارسول الله، إنى كنت أصلى، فقال: ألم يقل الله عزوجل: ﴿اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ ثم قال: لأعلمنك أعظم سورة فى القرآن قبل أن أخرج، فذهب رسول الله ﷺ ليخرج فذكرت له ذلك. فقال: ﴿الحمد لله رب العالمين﴾ هى السبع المثانى والقرآن العظيم الذى أوتيته»[1].

٢- الإعداد لحرب الاعداء:

قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾[2].

ما تزال الأمم قديما وحديثا تعنى بإعداد وتجهيز الجيوش الضاربة المقاتلة للدفاع عن وجودها وعزتها وكرامتها، وحماية حدودها، وصون أمنها ومجدها، لذا أمر الله المؤمنين بالإعداد الدائم للقوة الحربية لمواجهة الأعداء.

وذلك كما أشارت الآية الكريمة لإرهاب العدو، ومنعه من التفكير فى العدوان على الأمة والمقدسات.

---

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه كتاب التفسير سورة إبراهيم عليه السلام، باب قوله ولقد أتيناك سبعاً من المثانى والقرآن العظيم ٣/٢١١ حديث رقم ٤٧٠٣.

(٢) سورة الأنفال: آية «٦٠».

يقول الإمام بن كثير: أمر تعالى بإعداد آلات الحرب لمقاتلتهم حسب الطاقة والإمكان والإستطاعة فقال: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم﴾ أى مهما أمكنكم ﴿مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ﴾.

قال الإمام احمد... «عن أبى على ثمالة ابن شفى أخى عقبة بن عامر يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول وهو على المنبر «وأعدو لهم ما استطعتم من قوة» ألا إن القوة الرمى ألا إن القوة الرمى»[2] رواه مسلم.

وقد فسر النبى ﷺ القوة فى الآية بالرماية، ولا تزال القوة هى الرماية. إلى اليوم وإن إختلفت أسلوبها وفى الآية الأمر بالاعداد للحرب أما إرادة القتال عند الفرد المقاتل فلابد إذاً من الأعداد البدنى والنفسى والمادى والروحى للجيش.

٣- الشجاعة:

يقول تعالى: ﴿قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُوا اللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾[3].

فى الآية دعوة إلى الشجاعة والإقدام عند اللقاء، وأن العقيدة فى نصرة القيادة المؤمنة على الكثرة العدوانية بلا هدف أمر مقطوع فيه فالنصر من عند الله ليس عن كثرة عدد أو عدة.

---

(١) تفسير بن كثير جـ٢ ص٣٢١.

(٢) أخرجه مسلم فى صحيحه كتاب الإمارة باب فضل والحث عليه ٣/١٥٢٢ حديث رقم ١٩١٧.

(٣) سورة البقرة: اية «٢٤٩».

٤- الجهاد بالأموال والنفوس:

قال تعالى: ﴿ **قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ** ﴾[1].

أمر تعالى رسوله أن يتوعد من آثر أهله وقرابته وعشيرته على الله ورسوله وجهاد فى سبيله فقال: ﴿ **قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ** ﴾ الآية. أى اكتسبتموها وحصلتموها ،وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها، أى تحبونها لطيبها وحسنها أى إن كانت هذه الأشياء، ،أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله فتربصوا، أى فانتظروا ماذا يحل بكم من عقابه ونكاله بكم ولهذا قال ،حتى يأتى الله بأمره والله لا يهدى القوم الفاسقين،[2].

قال الإمام أحمد: عن زهرة بن معبد عن جده قال: كنا مع رسول الله ﷺ وهو آخذ بيد عمر بن الخطاب فقال: والله يارسول الله ،أنت أحب إلى من كل شىء إلا من نفسى. فقال رسول الله ﷺ ،لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه، فقال: عمر: فأنت الآن والله أحب إلى من نفس، فقال رسول الله ،الآن يا عمر،[3].

(١) سورة التوبة آية ٢٤.

(٢) تفسير بن كثير جـ٢ ص٣٤٢.

(٣) أخرجه البخارى فى صحيحه كتاب الايمان حب الرسول ﷺ من الايمان ٤٥/١ حديث رقم ١٤. وأخرجه مسلم فى صحيحه كتاب الايمان وجوب محبة رسول الله ﷺ ٦٧/١.

وروى الإمام أحمد عن ابن عمر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ،إذا تبايعتم بالعينة وأخذتم بأذناب البقر ورضيتم بالزرع وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذلالا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم،[1].

الآية هنا صريحة وواضحة، قدمت كل شىء يجول بخاطر الإنسان وتقديمه على حب الله ورسوله والجهاد فى سبيله، فوعدت وأنذرت من هذه صفته بقوله تعالى: ﴿ **فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ** ﴾[2].

وفى الآية دليل على فضل الجهاد. وإيثاره على راحة النفس وعلائقها بالأهل والمال.

(١) أخرجه أبو داود فى سننه كتاب البيوع باب النهى عن الغيبة ٢٧٢/٣ ح ٣٤٦٢.

(٢) سورة التوبة: آية /٢٣،.

المبحث السابع
مراحل الإستشهاد فى سبيل الله

مرت الدعوة الإسلامية والدعاة والتابعون بمراحل كما مر الإستشهاد منها:

١- إستشهاد المستضعفين دون دينهم وعرضهم وحقهم.

٢- إستشهاد غربة من الأوطان تحت وطأة الفقر والمرض والخوف.

٣- إستشهاد الغدر وهم يؤدون رسالة ربهم.

٤- الإستشهاد فى ميدان الحرب الغير متكافئة فى العدة والعدد بعد أن أمرهم الله بالقتال.

النوع الأول والثانى من الإستشهاد:

عمار بن ياسر وأمه وأبوه أسرة بكاملها: تعذبها قريش بأنواع العذاد كل طلب قريش من هذه الأسرة أن تترك الإسلام لكن الأسرة تستميت فى عقيدتها، وتموت الأم من العذاب شهيدة والابن والأب إلى جانب أول شهيدة فى الإسلام يعذبان ويمر الرسول المعلم بهما وهما يعذبان فيقول لهم «صبراً آل ياسر فإن موعدكم الجنة».

- بلال الحبشى الساخر من العذاب:

بلال الحبشى المسلم المؤمن مؤذن الرسول والمؤمنين فيما بعد يسومه أمية بن خلف كل أنواع العذاب ليرجعه عن الإسلام، ولكن بلالا لا يزيد على كلمة أحد أحد، ويبيعه أمية أخيراً لأبى بكر بعد عرض سخى فى سبيل الله، وفى غزوة بدر الكبرى يقع أمية قتيلا بسعى وسيف بلال ويومئذ يفرح

المؤمنون بنصر الله، وما خباب بن الأرت الذى ظل بدنه إلى اخر حياته يتألم من عذاب قريش، ومال صهيب بن سنان الرابح الذى سلم ماله لقريش ليشترى به نفسه من عذاب قريش.

- عثمان بن مظعون: عرف الحق فلذت عنده التضحيات:

يعود عثمان بن مظعون من الحبشة، وكان من أوائل من هاجر إلى الحبشة، بعد أن بلغه كذبا بأن قريشا اصطلحت مع النبى ﷺ ودخل مكة بجوار الوليد أحد أقاربه، ودخل إخوانه فى الله مستخفين، وبعد أن رأى عثمان تعذيب أصحابه، وإستشهاد بعضهم، يطلب من الوليد سحب حمايته له ويدور النقاش الآتى:

لماذا سحبت جوارى يابن أخى؟ هل آذاك؟ أحد من قومى؟

فأجابه: لم يؤذنى أحد، ولكنى رضيت كإخوانى بجوار الله، إذا لابد من أن يعلن التنازل عن الجوار علانية إلى جانب البيت الحرام.

ويقول عثمان إنى رضيت بجوار الله قال: ﴿وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَى مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾(١)..

يقول لبيد الشاعر كعادته: ينشد شعره فى الوحدانية، ويعجب عقلاء قريش أصحاب محمد المغامرين لماذا لا تكون وحدانيتهم مثل وحدانية لبيد وسطا؟ لماذا كل هذا الحماس عند أصحاب محمد. ها هو لبيد وزيد بن عمرو وغيرهم لا ينون بالوحدانية المهادنة، وتتركهم قريش وعقيدتهم فماذا يريد محمد وأصحابه من اختيار أصعب الطرق إلى الله؟

---

(١) سورة إبراهيم: آية ١٢.

وينشد لبيد وعثمان يسمع ويردد:

الا كل شيء ما خلا الله باطل فيقول عثمان صدق لبيد

وينشد لبيد عجز البيت ليكشف عثمان للقوم:

وكل نعيم لامحالة زائل فماذا تقول يا عثمان ؟

ويجيب عثمان: إلا نعيم الجنة فغير زائل – وهنا يثور النزاع، ويحدث الصراع ويفقد عثمان إحدى عينيه، وكان الوليد قريبا منه، فيقول له: أما والله يابن أخى إن كانت عينك عمى أصابها لغنية عن كل ما أصابها. لقد كنت فى منعة وعزة بجوارى.

ويجيبه عثمان والله إن عينى الصحيحة لفقيرة إلى مثل ما أصاب أختها فى الله، وجوار الله خير لى من أصحابى، ويموت من مات فى الغربة، وفى سجن وتعذيب قريش من العائدين المهاجرين. والكل صابرون»[1].

النوع الثالث من الإستشهاد:

عامر بن فهيرة: أحد الذين سقطوا – وهم يدعون إلى الله بالحسنى. يطعنه جبار بن سلمى غدراً، ويقول الشهيد وهو يلفظ أنفاسه أمام قاتله: فزت والله، فيندم القاتل، ويأتى ويستفسر الحاضرين عن كلمة القتيل فزت والله، ولما عرف أن الشهيد يريد بقوله أنه فاز بالشهادة والجنة، ويسلم القاتل بعد ما رأى من البطولة فى سبيل الله ما أذهله.

(١) البداية والنهاية لابن كثير جـ٣ ص٦٢ – ٦٤، ٩٨ – ٩٩. بتصرف.

خبيب بن عدى: «من العشرة المعلمين القراء الذين ذهبوا بأمر رسول الله لعليم الناس دينهم، بعد أن طالب بهم رهط من العرب ويقتل الثمانية غدراً، ويؤخذ خبيب مع عبد الله بن طارق، فيرمى الأخير بالحجارة حتى الموت ويعذب خبيب أياما يقدمونه بعد ذلك إلى السيف، وكان كل طلب خبيب من أعدائه أن يصلى ركعتين قبل قتله ويصلى أول ركعتين سنها للشهداء المقتولين صبراً قبل الموت. ثم يدعو الله بعد الركعتين أمام سجانيه بقوله: اللهم أحصهم عدداً منشداً بكبرياء المسلم الشهيد بقوله:

ولست بمبد للعداو وتخشعا ولا جزعا إلا إلى الله مرجعى

ولست أبالى حين أقتل مسلما على أى جنب كان فى الله مضجعى

وذلك فى ذات الإله وإن يشا يبارك على أو صال شلو ممزع[1]

النوع الرابع من الإستشهاد:

إن بدء تاريخ المعارك المواجهة فى الإسلام تبدأ فى غزوة بدر، وبعد إلتقاء الجيش رأى الناس النبى ﷺ القائد يدور بين صفوف أصحابه وهو يقول: «والذى نفس محمد بيده لا يقاتلهم رجل فيقتل صابراً محتسباً، مقبلا غير مدبر إلا أدخله الله الجنة»[2].

وهذا الموقف مع النبى ﷺ تأكيد لما تأكد من قبل فى وضع العقيدة إلى جانب المواجهة موضع التنفيذ، ووضع القيادة موضع الاختيار، إنه النصر

(١) البداية والنهاية جـ٤ ص٧٨ – ٧٩، ٧٣ – ٧٤ بتصرف.

(٢) أخرجه مسلم فى صحيحه كتاب الامارة باب من قتل فى سبيل الله كفرة خطاياه إلا الدين ٣/١٥٠١ ح رقم ١٨٨٥ عن أبى قتادة –رضى الله عنه–.

أوالشهادة والجنة، فرسان بالنهار ورهبان بالليل، فهذا النبى الكريم ﷺ يدعو ربه فى المعركة بقول: «اللهم انجز لى ما وعدتنى، اللهم آت ما وعدتنى، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد فى الأرض»[1].

★ **أثـر الشهداء فى أمتهم:**

بعد ما تقدم من الحديث حول الشهيد فى إعلاء كلمة الله ننتهى إلى الحديث عن أثر الشهداء فى أمتهم ومجتمعهم والأمه والمجتمع منها تكون مجموعة من الآراء تفعل وتكثر فتتمثل فيهم وحدة المكان والزمان واللغة والدين والتاريخ والهدف، ويتم بينهم بالضرورة التعاقد على التعايش فى ظل تعاون مخلص، وفى رعاية حكم يختارونه، ويحتكمون إليه، ويسندون إليه أمر السهر على المثل والفضائل والآمانى التى آمنوابها، والمصالح التى اتفقوا عليها فيما بينهم، ووضعوا فى ضوئها دستورهم، ونظام حياتهم ودولتهم.

وهذا مكان يشاهد واضحاً فى أمة الإسلام من الخليج إلى المحيط، فقط تحقق فيها وحدة المكان والزمان واللغة والدين والتاريخ والهدف.

وإرتضى أبناؤها باالضرورة التعاقد على أن يتعايشوا فى ظل رخاء دائم، وتعاون مخلص، وفى رعاية حكم قبلوه طوال قرون طويلة حتى فشا بينهم النزاع، ودب فيهم التفكك، فاستغل المستعمر الفرصة وبسط نفوذه عليهم وزاد من تفككهم، وقطعهم دويلات ووحدة اللغة والدين، ووحدة التاريخ والهدف، رغم اختلاف الحكم والحاكم، وما يزال شعار الوحدة يرتفع عاليا فى مجتمعاتهم كلما سنحت الفرصة.

---

(١) أخرجه الإمام مسلم فى صحيحه كتاب الجهاد باب الامداد بالملائكة فى غزوة بدر واباحة الغنائم ٣/١٣٨٣ - ١٣٨٤ حديث رقم ١٧٦٣ عن عمر بن الخطاب .

إن هذه الأمة ما تزال تتطلع إلى تحقيق أمانيها فى ضوء تعاليم الإسلام ومبادئه من خلال كتاب الله، القرآن الكريم وسنة رسول الله ﷺ المعلم والقائد وتعليم أن ذلك كله لا يليق أن يبقى أفكاراً وإتجاهات وأمانى قابعة فى عقول ونفوس أبنائها، بل تتصدى لمحاولة إرساء قواعدها فى حياتها الإجتماعية بصورة عملية، فتجسدها فى سلوك أفرادها وتصرفاتهم وتعاملهم وعلاقتهم مع بعضهم ومع غيرهم.

فقد قال جندب بن عبد الله -رضى الله عنه-: «عليكم بالقرآن فإنه نور بالليل وهدى بالنهار، فاعملوا به ما كان من فقر وفاقة، فإن عرض بلاء فقدموا أموالكم دون أنفسكم، فإن تجاوز البلاء فقدموا أنفسكم دون دينكم فإن المسلوب من سلب دينه لا فاقة بعد الجنة ولا غناء بعد النار»[1].

وتجيد هذه المعانى والمفاهيم السامية فى حياة الأفراد والجماعات فى الأمة الواحدة يفتقر إلى سهر مستمد من سلطة نافذة القول والفعل، فإن المأثور: أن الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن.

ويجب على كل أمة تنشد لكيانها البقاء والاستمرار والأمن والوقار أن يكون جميع أفرادها دوماً أو بعضهم مستنفرين، وعلى أهبة النضال والدفاع عن عقيدتهم وأوطانهم، ولو اقتضى ذلك منهم بذل الروح فداء عن كيان الأمة، وتعزيزا لوجودها ومبادئها وتحصينا لهيبتها.

وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ

---

(١) الدرر السنية فى الأجوبة النجدية جـ٧ ص٨.

وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَاحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰ أَن تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾[1].

يبين الله تعالى علة الأمر بأخذ الحذر والسلاح فى الصلاة وهى أن الكفار يودون ويتمنون أن تغفلوا عن أسلحتكم وأمتعتكم بسبب إنشغالكم بالصلاة فينقضون عليكم ويميلون عليكم ميلة واحدة أو حملة واحدة بالقتل والنهب والله يريد لكم الفوز والنصر فيحذركم ويأمركم بالإستعداد الدائم.

وكلما كثر من أفراد الأمة الموت دفاعاً عن حياضها، وحرصا على كرامة عقائدها، ومبادئها ووجودها إشتد عودها، وقوية شوكتها وها بها القاصى والدانى من الناس، وشاع فى ربوعها الأمن والإستقرار، وسعد أبناؤها ورعاياها، وإنتشرت فيهم مظاهر السعادة والرخاء.

والأمة التى لايتعدد فيها الضحايا، ولا يكثر فيها المجاهدون دفاعاً عن العقيدة والشريعة والآداب والمثل التى أمرهم الله بالدفاع عنها والتى تنتظم الحياة، وتحفظ الهيبة والكرامة، والحق والحرية والعدالة، أمة غير جديرة بالعزة، بل حرية بأن يتخطفها الناس من كل حدب، ويطمع فيها القوى والضعيف والصالح والمفسد.

والتاريخ خير شاهد على ذلك، فالأمم التى يقل عطاء أبنائها وبذلهم فى سبيل عزتها وكرامتها والدفاع عن وحدتها، كانت مطمع للمستعمر الغاشم.

(١) سورة النساء: آية ١٠٢.

فالشهداء من الأمم هم بمثابة القاعدة من البناء على جثثهم ينتهض بناء الأمة ويعلو حتى يطاول السحاب شموخاً وعزة وإباء.

والشهداء من الأمة بمثابة الروح للجسد، يقنى كيان الأمة بدونهم وتضيع هيبتها وكرامتها.

بل إن كل قطرة من دماء الشهداء تسيل على أرض الوطن تشربها التربة، ولا تضيع، فإذا كان الماء الذى يمس الأرض يهزها ويربيها.

ويخرج منها من خلال النبات وأغصان الشجر حباً جنياً وثمراً شهياً وأكلا طيبا هنيا، فإن دم الشهيد لا يكاد يسيل من عروقة، ويسقى أديم الأرض، ثم ينتشر فى ذرات التراب، حتى يبرز من جديد من خلال أحاسيس البشر وأفكارهم وطاقاتهم الوجدانية غضاً عاصفاً، ويموج فى الأثير، ثم يصب على رؤس الظلمة الغاشمين، عزة وشموخ وحيوية وقوة تسعد بها نفوس الأبناء والآباء والأخوة والأقرباء. وأبناء الوطن الواحد.

بل إن دم الشهيد هو وقود حياة الأمة، وهو الطاقة الخفية التى تشق للأمة طريق الخلود والمجد، وتظلها بسحائب الرحمة والخير، والطمأنية والرخاء، ومهما يكن عطاء الله لهؤلاء الشهداء بعد ذلك، ومهما يكن إحتفاؤه بهم، وتمجيده لزكرهم، وإكرامه إياهم فهم أهل له كذلك كثر الشهداء فى عصر الإسلام الأول والثانى، فعلا نجم الأمة وإنتشر ظلها حتى عم العالم القديم تقريبا.

ومن جهة أخرى فإنه إذا كان فى هذه الدنيا موقع للحق، وطريق للهدى، ووجه للعزة والكرامة، فإن ذلك هو مما نبتت مغارسه بيد المجاهدين

فى سبيل الله، وإرتوت أصوله بدم الشهداء الذين قتلوا تحت رايته، وامتدت حياته بجنود الله الذين رصدوا أنفسهم لحراسته، وأعدوها للدفاع عنه، والموت فى سبيله، وإنه فى اليوم الذى ينصب فيه معين هذه المشاعر المستعدة للتضحية والفداء فى أى مجتمع من المجتمعات، وفى أى وطن من الأوطان، فى هذا اليوم لن نجد فى هذا المجتمع أو ذلك الوطن موقعاً للحق، ولا طريقا للهدى، ولا وجها للعزة والكرامة، وإنه بقدر ما يحمل أى مجتمع من مشاعر الفداء والتضحية، بقدر ما تشع فيه أضواء الهدى، وتعلو فيه راية الحق، ويبرز فيه وجه العزة والكرامة.

يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ** ﴾(١).

فنصر الله للمؤمنين هو منوط بالإستقامة على صراطه المستقيم، وبالإستجابة لما دعاهم إليه من إعداد أنفسهم، ورصدها للقتال والإستشهاد فى سبيل الله، فإذا نصروا الله نصرهم الله.

قال تعالى: ﴿ **وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ** ﴾(٢).

(١) سورة محمد: آية ٧.

(٢) سورة آل عمران: آية ١٢٦.

الخاتمة

١- القتال فى سبيل الله عبادة من أشرف العبادات فى الإسلام له أهداف وقواعد وأحكام يلتزم بها المسلم لكى يشرف بالشهادة.

٢- إن النفس التى تشاهد الموت وتستهين به أمام عقيدتها لا يذعرها وجوه الطغاه من البشر وهكذا الاستشهاد.

٣- الشورى واجبه فى المعركة يقول الرسول ﷺ للصحابه أشيروا علىَّ قبل أن يقدم على القتال فيقول سعد بن معاذ من الأنصار: والذى بعثك بالحق لو استعرضت هذا البحر فخضته لخضناه معك ما بقى منا رجل واحد.

٤- كانت معركة بدر معركة غير متكافئة قلة مؤمنة قليلة العتاد أمام كثرة كافرة كثيرة العدة والعتاد، بحيث لو كان هناك مراسلون للصحف ووكالات الأنباء كما هو الحال لحكموا مقدما للغلبة لقريش ، ولكنه نصر من السماء. لقوله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَفْقَهُونَ** ﴾(١).

٥- الأمة التى لا يتعدد فيها الشهداء ولا يكثر فيها الأقوياء دفاعاً عن العقيدة والشريعة والأدب والمثل التى أمرهم الله بالدفاع عنها التى تنظم الحياة وتحفظ الهيبة والكرامة والحق والحرية والعدالة أمة غير جديرة بالعزة ويطمع بها القوى الضعيف والصالح والمفسد.

(١) سورة الأنفال آية ٦٥.

٦- الشهداء من الأمة بمثابة القاعدة من البناء وبمثابة الروح للبدن.

٧- أنزل الله عز وجل الشهداء برفقة الأنبياء والصديقين والصالحين فقال عز وجل: ﴿ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا . ذَٰلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ عَلِيمًا ﴾[1].

وجعل مرتبتهم فيهم فى الدرجه الثالثة بعد الصديقين.

٨- على الدولة أن تشجع الفضيلة وتقضى على الرذيلة ولعل من أهم أساليب الدولة فى القضاء على المنكر والحث على المعروف هو تولية الملتزمين بالفضيلة والدين مقاليد الأمور حتى يكونوا أسوة حسنة لغيرهم لأن فاقد الشيء لا يعطيه.

٩- حث العسكر بين كافة على إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وحج البيت وصوم رمضان كما يجب إقامة المساجد فى الثكنات والمعسكرات.

١٠- المؤمن حقا لا يخشى الموت لأنه يؤمن بأنه لا يموت إلا بأجله الموعود قال تعالى: ﴿ إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾[2].

١١- إن المؤمن حقاً يعتقد اعتقادا راسخاً بأن الآجال بيد الله سبحانه وتعالى وما أصدق ما قاله خالد بن الوليد رضى الله عنه عندما حضرته الوفاة «ما فى جسمى شبر إلا وفيه طعنة رمح أو سيف، وهأنذا أموت على فراش كما يموت البعير فلا نامت أعين الجبناء»[3].

---

(١) سورة النساء آية ٦٩، ٧٠.

(٢) سورة يونس آية ٤٩.

(٣) كتاب أسد الغابة جـ٢ ص ٩٥.

والمؤمن حقاً لا يخشى قوات العدو الضاربه فما انتصر المسلمين فى أيام الرسول القائد عليه أفضل الصلاة والسلام وفى أيام الفتح الإسلامى العظيم بعدة أو عدد بل كان انتصارهم بالإسلام قال تعالى: ﴿ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُوا اللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾[1].

١٢- والمؤمن حقاً لا يقر بانتصار أحد عليه ما دام فى حماية عقيدته فهو لا يستسلم أبدا ولا يفكر فى الاستسلام لأنه يؤمن بأن انتصار العدو عليه قد يدم ساعة ولكنه لا يدوم إلى قيام الساعة قال تعالى: ﴿ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ ﴾[2].

١٣- والمؤمن حقا لا يقنط أبدا ولا ييأس من نصر الله ورحمته قال تعالى: ﴿ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ﴾[3] وقال تعالى: ﴿ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴾[4].

وبذلك نجد عظمة الإسلام تظهر فى حماية المسلمين من شرور الحرب النفسيه. ولقد ذكرت أن الحرب النفسية لا تؤثر فى المؤمن. فهل العرب والمسلمون اليوم مؤمنون حقا ؟ نعم لأن الأمة الإسلامية خير أمة أخرجت للناس.

---

(١) سورة البقرة آية ٢٤٩.

(٢) سورة آل عمران آية ١٤٠.

(٣) سورة الزمر آية ٥٣.

(٤) سورة الروم آية ٣٦.

المراجـــع

١- تفسير الإمام الكبير فخر الدين الرازى.

٢- تفسير الإمام بن كثير.

٣- تفسير الجامع لأحكام القرآن للقرطبى.

٤- تفسير أضواء البيان فى إيضاح القرآن بالقرآن للشنقيطى.

٥- تفسير حاشية الشهاب المسماه عناية القاضى وكفاية الراضى على تفسير البيضاوى.

٦- تفسير البحر المحيط لابى حيان.

٧- تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل للزمخشرى.

٨- تفسير ظلال القرآن للشيخ سيد قطب.

٩- تفسير النسفى للإمام الجليل العلامة أبى البركات محمود النسفى.

١٠- تفسير المراغى للشيخ أحمد مصطفى المراغى.

١١- تفسير القاسمى المسمى محاسن التأويل.

١٢- تفسير أبى السعود المسمى ارشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم.

١٣- تفسير الفتوحات الإلهية حاشية الجمل على الجلاليين.

١٤- تفسير أحكام القرآن لابن العربى.

١٥- البداية والنهاية لابن كثير.

١٦- قصص الانبياء لابن كثير.

١٧- لسان العرب لابن منظور.

١٨- المفردات لألفاظ القرآن للراغب الأصفهانى.

١٩- صحيح البخارى.

٢٠- صحيح مسلم.

٢١- فتح البارى لشرح صحيح البخارى.

٢٢- مسند الإمام أحمد.

٢٣- سنن النسائى.

٢٤- سنن الترمذى.

٢٥- سنن أبى داود.

٢٦- سنن ابن ماجه.

٢٧- المعجم الكبير والأوسط للطبرانى.

٢٨- مجمع الزوائد منبع الفوائد للهيثمى.

٢٩- كنز العمال فى سنن الأقوال والافعال.

٣٠- المطالب الغاليه لابن حجر.

٣١- السهيلى على ابن هشام.

٣٢- اسباب النزول للواحدى.

٣٣- التاريخ الكامل لابن الأثير.

٣٤- السيره النبوية للدكتور محمد أبو شهبه.

٣٥- الدرر السنيه فى الأجوبة النجديه.

٣٦- كتاب الشريعة الإسلامية والقانون الدولى العام للاستاذ على على منصور.

٣٧- كتاب تاريخ الكنيسة لدنيال رويس ترجمة الأستاذ نصرى ملهب رئيس مجلس الجمارك الأعلى فى لبنان.

٣٨- المبسطو للسرخسى.

٣٩- الموسوعة الفقهية.

٤٠- المغنى لابن قدامة.

٤١- حاشية الدسوقى على الشرح الكبير.

٤٢- حاشية المختار على الدر المختار.

٤٣- حاشية ابن عابدين.

٤٤- مغنى المحتاج.

٤٥- تبيين الحقائق على كنز الدقائق.

٤٦- كشاف القناع.

فهرس الموضوعات

الموضـــــــوع	الصفحة
المقدمة	٥
المبحث الأول: تعريف الشهيد لغة واصطلاحاً والعلاقة بين المعنى اللغوى والمعنى الاصطلاحى.	١٤
المبحث الثانى: أقسام الشهيد.	٢٤
المبحث الثالث: حكم الشهيد ومكانة الشهيد وفضله ومراتب الشهداء وشهداء عصر النبى ﷺ.	٢٩
المبحث الرابع: الشهيد فى الديانات السماوية.	٥١
أولاً : فى الديانة اليهودية من خلال آيات القرآن الكريم.	٥٥
ثانياً: الشهادة فى الديانة المسيحية.	٥٩
الشهيد فى أقوال كبار المسيحيين.	٦٧
المبحث الخامس: مراحل الاستشهاد والإذن بالقتال.	٦٩
- القرآن فى ميدان القتال ومشروعيته.	٦٩
- أشرف العبادات فى الإسلام.	٧٩
- الهدف من القتال.	٨٠
- الجيش الإسلامى.	٨٦
- نهى الإسلام عن التخريب.	٩٣
- مراعاة الفضيلة أثناء الحرب.	٩٤

المبحث السادس: شروط المقاتل والشهيد.	٩٨
١- الطاعة للقيادة.	٩٩
٢- الإعداد لحرب الأعداء.	١٠٠
٣- الشجاعة.	١٠١
٤- الجهاد بالأموال والنفوس.	١٠٢
المبحث السابع: مراحل الاستشهاد فى سبيل الله.	١٠٤
- أثر الشهداء فى أمتهم.	١٠٨
الخاتمـــة	١١٣
المراجـــع	١١٦
الفهـــرس	١١٩